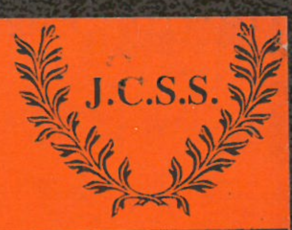
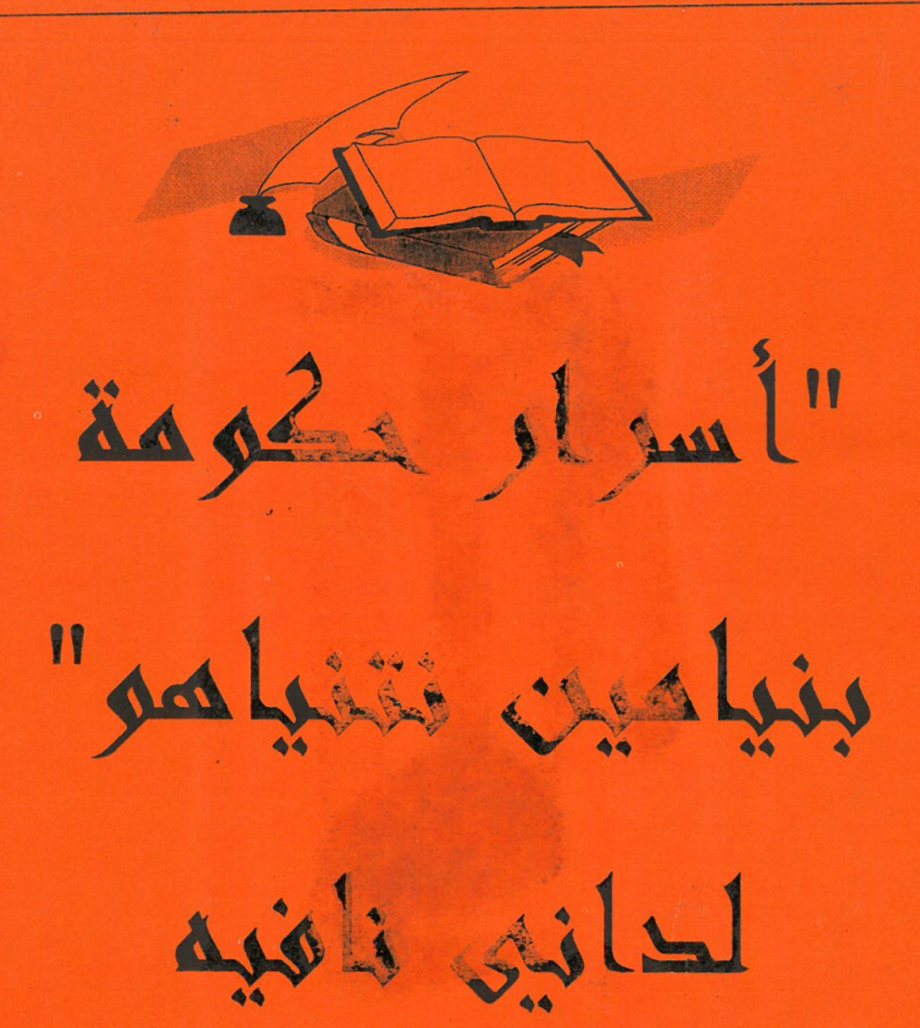


مركز جنين للدراسات الاستراتيجية
JENIN CENTRE FOR STRATEGIC STUDIES



"أسرار حكومة بنيامين نتنياهو"

لداني نافيه

إعداد وتعليق :

مركز جنين للدراسات الإستراتيجية

الترجمة المختارة :

سعيد أبو فرخ

ملف محدود التداول

ابريل ٢٠٠٠

E-mail: Jcss@index.com.jo ص.ب ١٤٢١١١ عمان ١١٨١٤ الأردن - نقال ٥٢٢١٣٨ ٠٧٩ - فاكس ٥٨٥١٨٩٨
Tel. 5820264 - Telefax 5851898 - Mobile 079 522138 - P.O. Box 142111 Amman 11814 Jordan - E-mail: Jcss@index.com.jo

مقدمة

هذه الفصول المختارة من كتاب "داني نافيه" سكرتير عام الحكومة الإسرائيلية السابقة، ليست ترجمة حرفية بقدر ما هي عرض، مصحوب بتعليق موسع، للقضايا الرئيسية في رواية نافيه عن فترة حكومة نتنياهو، يجدر بنا الاطلاع عليها لمعرفة تفكير "الآخر" وروايته للمواقف والسياسات، لاستخلاص الدروس والعبر.

القضايا الأساسية التي ركزنا عليها في هذه الفصول المختارة تتعلق بأسرار المفاوضات مع سوريا وأسرار اتفاق الخليل واتفاق واي وكيف تم التوصل لهما، حدود وطبيعة الخلافات مع واشنطن في عهد نتنياهو من خلال مقتطفات لأحاديثه مع الرئيس الأمريكي ووزيرة الخارجية مادلين أولبرايت، الاتصال الأول مع ياسر عرفات بعد فوز الليكود وكيف سارت الأمور بين عرفات ونتنياهو بعد ذلك، وأزمة النفق. العراق والهجوم الأمريكي عام 1998 وحدود التنسيق بين إسرائيل وواشنطن قبل ذلك الهجوم، المخاوف من إيران، وموضوعات أخرى.

مركز جنين للدراسات الإستراتيجية

توفيق أبو بكر

مفاوضات واشنطن، أزمة النفق، اتفاق الخليل

سأل أبو مازن صديقه أحمد الطيبي عن " دودي غولد " ومن يكون؟ فقد اتصل به باسم رئيس الحكومة الجديد لكي يبدأ أول علاقة له بعرفات. بدأ الإحساس بالتردد يعتري نتنياهو في صباح اليوم الأول بعد الانتخابات فقد أجرى اتصالين هاتفيين بالرئيس مبارك والملك حسين ولم يفعل الأمر نفسه مع عرفات، الاتصال المباشر بعرفات بالنسبة لنتنياهو ولنا طاقمه المقرب – رجال الليكود – يعتبر بمثابة قرص دواء مر وعلقم من الصعب جداً ابتلاعه، لقد تخبط نتنياهو كثيراً – وكانت نصيحتي له بأن يفصل بين العلاقة مع السلطة الفلسطينية من جهة وبين مصر والأردن من جهة أخرى، فعرفات ليس رئيس دولة والمنظمة هي طرف تم فرضه علينا ضمن اتفاق وقعته حكومة رابين كما أنه شريك سنضطر إلى إقامة علاقات معه ولكنه بالتأكيد ليس صديقاً ولا زميلاً وتجاهله بالمطلق أمر مستحيل حيث أن التوتر كان عالياً لدى السلطة الفلسطينية من رئيس الحكومة الجديد فقد كان من الضروري إقامة علاقة وحوار ولكن على المستوى والدرجة الملائمة مما يعني ألا تكون علاقة مباشرة ولذلك تم اختيار دودي غولد للمهمة الأولى – كان من المقرر تعيين الدكتور غولد مستشاراً سياسياً لنتنياهو – بعد وصوله من الولايات المتحدة- وكان من رجال اليمين القلائل المعترف بهم أما خبرته الأساسية موضع التقدير والإعجاب فإنها تتعلق بمجالات العلاقات الإستراتيجية بين إسرائيل والولايات المتحدة وأثناء فترات القحط -أيام المعارضة- كان غولد يمثل حلقة الوصل بين نتنياهو والساحة الدولية فقد نظم ورتب له لقاءاته في واشنطن وجعل الولايات المتحدة بالنسبة له بمثابة البيت وكان غولد أيضا الأول في قيام صلة بين نتنياهو والفلسطينيين ومع أن حديثه الأول مع " أبو مازن " اتسم بالإحراج نوعاً ما كون أبو مازن لم يكن على معرفة مسبقة به إلا أن الاتفاق قد تم

لترتيب لقاء بين الاثنين في أقرب وقت وكان ذلك بمثابة كسر للجليد فهذه هي المرة الأولى التي يقوم فيها مندوب مسؤول من قبل رئيس الحكومة ومن الليكود بإقامة أول علاقة علنية ورسمية مع مسؤول كبير في منظمة التحرير، لكن الذين راهنوا على تطور الأمر إلى علاقة ودية أو قريبة بين نتنياهو وعرفات، فشلوا في رهانهم ذلك أن أول لقاء بينهما عند حاجز إيريز جرى بعد أشهر طويلة. أما دودي غولد فلم يتمكن من البقاء طويلاً في مكتب نتنياهو بسبب لكنته الأمريكية الثقيلة التي جعلت خصومه يصفونه " بالنبتة الغريبة " – هذا إضافة إلى أن علاقته بوزير الخارجية ديفيد ليفي كان يسودها التوتر الكبير مما جعله يردد بين الحين والآخر " ماذا أفعل مع ليفي فأنا اشعر بأنني في مشكلة معه " وفي نهاية الأمر قرر نتنياهو إيفاده سفيراً لإسرائيل في الأمم المتحدة وقد وجد هناك فرصته – أما أنا شخصياً فقد أسفت لمغادرته لأنني خسرت شريكاً ذكياً في مجال اللقاءات السياسية وخسرت صديقاً أيضاً. وتنافس على المنصب مع غولد الدكتور يوسي اولمرت شقيق رئيس بلدية القدس ايهود أولمرت من جانبي أشك بأنه يتمتع بمواهب كثيرة وقلت لنتنياهو أن بإمكانه أن يكون سفيراً ممتازاً في الأمم المتحدة في المجال الإعلامي بحكم عمله في مكتب الصحافة الحكومي وفهمه الجيد للعالم العربي لكن خصوم غولد حسموا الأمر بإبعاده من مكتب رئيس الحكومة، وأذكر أنه في إحدى الزيارات التي قام بها نتنياهو للعاصمة الإسبانية مدريد تعرض غولد لحادث بسيط جراء السرعة في إنطلاق السيارات التي أقلتنا إلى مأدبة عشاء مقررة مع رئيس الحكومة الإسبانية إذ داست العجلات قدم غولد – وكأنها إشارة لما جرى فيما بعد – فقلت له حينها " إذا صدمتك سيارة فأحذر ألا يدهسك السياسيون في القدس " لكن تحذيري لم يجد نفعاً إذ سرعان ما اضطر غولد لإخلاء غرفته القريبة من مكتب رئيس الحكومة وغادر إلى نيويورك.

في أعقاب الاتصال الهاتفي الأول بين غولد وأبي مازن واللقاء الثنائي الذي تلاه كان لا بد من عنصر تقريب خارجي بين نتنياهو وعرفات وقد تولى هذه المهمة النرويجي لارسين وعقيلته منى يول وهما من طاقم وزير الخارجية النرويجي الراحل " هولست " ومن واضعي اتفاقيات أوسلو . كان للزوجين علاقات قريبة مع عرفات وأبي مازن وكبار مسؤولي السلطة، وقد التقيا نتنياهو لأول مرة في السادس عشر من آب 1996 وكانت توصيتهم له بانتداب شخصية إسرائيلية أمام أي مسؤول مركزي فلسطيني في السلطة، فكانت إحدى الشخصيات الهامة إلى جانب عرفات وهو محمد رشيد – المعروف بكنيته خالد سلام – وكان قوياً في الجانب الاقتصادي لدى السلطة ويبدو بأن عرفات لا يخرج خاسراً من صفقاته، توجه لارسين لنتنياهو وقال : الفلسطينيون يقدرون جداً سكرتير الحكومة داني نافيه لذا اقترح تعيينه حلقة وصل مع رشيد " . فخرجت عن إطار وقواعد الأدب وصرخت قائلاً: لست معنياً بأي شكل من الأشكال بإقامة علاقات مع ممول صفقات وحتى نهاية حكومة نتنياهو لم يكن هناك من أجرى اتصالات أو أقام علاقات مع رشيد وربما كان هذا سبباً في خسارة إسرائيل لقدرة التأثير المعتدل على عرفات، بينما استخدمت حكومتا رابين وبيريس العلاقة مع رشيد من أجل التأثير على عرفات. فالقوة الاقتصادية منحته نفوذاً واسعاً لدى عرفات وتأثيراً على قراراته السياسية – استطاعت إسرائيل استغلال هذا الجانب، ومع ذلك كله شعرت بأنني تصرفت على النحو الصحيح. لارسين أخبر نتنياهو في ذلك اللقاء بأن عرفات يريد لقاءه ناصحاً نتنياهو بالموافقة لتحقيق الكثير، لكن الجواب كان بأن وقت اللقاء المباشر لم يحن بعد وأضاف بأن " غولد ومولخو ونافي يستمرون في اتصالاتهم ضمن قنواتهم، يكفي هذا في هذه المرحلة. وبهذا اللقاء بين لارسين ونتنياهو تبدد الأمل بعقد اللقاء الأول بينه وبين عرفات. أما مولخو فهو مبعوثه الشخصي إلى عرفات وهو صاحب مكتب محاماة ناجح

ومن عائلة شرقية تعتبر من العائلات المقدسية الأصيلة، وهما في الوقت نفسه أبناء عم نتنياهو، مولخو رجل حاد التفكير وله خبرة في المفاوضات وقدرة على الإقناع ، كان رجل أسرار نتنياهو كما أن مكتبه يدير شؤونه القانونية الشخصية، ولذا قرر رئيس الحكومة تعيينه مبعوثاً شخصياً لدى عرفات وهي المهمة التي قام بها أيام رابين يوسي غينوسا (رجل الشاباك سابقاً)، قام مولخو بوظيفته تطوعاً وقد تعرض لانتقادات حادة إلى أن وضع المستشار القانوني للحكومة قواعد لعمله، كان مولخو اكثر إسرائيلي يلتقي بعرفات وكان لمنزلته عند رئيس الحكومة دوراً في كسب ثقة عرفات به كما أنه عمل على إجراء اتصالات بين حكومة إسرائيل والإدارة الأميركية فيما يتعلق بالمفاوضات مع الفلسطينيين.

في أول ليلة أمضاها رئيس الحكومة في مقره المؤقت في القدس وفي ساعة متأخرة من الليل أيقظه رنين الهاتف وكان على الجانب الآخر شخص يتحدث الإنجليزية وبلهجة عربية ثقيلة يطلب الحديث مع شمعون بيريس سأله رئيس الحكومة والنعاس يسيطر عليه بيريس لم يعد ساكناً هنا من يريده، أجاب: ياسر عرفات يريد التحدث معه، انتهت المكالمة بأدب ولم يكن في ذهن نتنياهو بعد تصور واضح لكيفية إجراء مكالمته الأولى مع عرفات مع أنه مدرك تماماً بأن إعلانه قبل انتخابات 1996 أنه لن يلتقي عرفات لن يطول، لقد اجتمع بعرفات خلال توليه رئاسة الحكومة كما تحدث معه على الهاتف مرات كثيرة ، وفهم بأنه يتوجب لإنهاء أي موضوع الاتصال بعرفات شخصياً، أن مساعدي عرفات ونوابه وقادته جيدون حتى اللحظة التي يتوجب فيها اتخاذ القرار وأما تأثيرهم عليه فمشكوك فيه إذ أنه معتاد على المناورة بين مستشاريه ورجالاته كما أنه لا يتيح المجال لنمو أحدهم بأكثر مما ينبغي.

العلاقة بين أبو مازن ومسؤول المجلس التشريعي أبو العلاء علاقة مزدوجة من التقدير والحساسية وقد قام عرفات

بإبعاد أبي العلاء عن دائرة المفاوضات بعد أن تلمس قوته في أعقاب اتفاق أوسلو وأوكل أمر المفاوضات لأبي مازن، وفي الوقت الذي شكل فيه أبو العلاء معارضة دائمة لعرفات كان أبو مازن يعتبر الأكثر اعتدالاً في الوسط المحيط بعرفات. إسرائيل والإدارة الأميركية سعتا لتوثيق العلاقات مع أبي مازن وحاولتا عن طريقه التوصل إلى اتفاقات مع عرفات لكن أملهما كان يخيب في حالات كثيرة.

لقد رتب مبعوثنا مولخو لقاءات سرية بينه وبين أبى العلاء دون معرفة شارون ومردخاي وهو الأمر الذي أدى إلى حدوث توتر بين نتنياهو ووزرائه وفي المقابل استغل خصوم أبي العلاء الأمر لإلحاق الضرر به ، وفي نهاية الأمر تمكن رئيس الوزراء من الاجتماع بأبي العلاء وأبي مازن معاً في مقره الرسمي بشارع بلفورد في القدس. وكان نتنياهو يفعل ذلك إدراكاً منه بضرورة تعاون الاثنين في دفع الإجراءات السياسية دون أن يفسد أحدهما خطوات الآخر وقد كانت ثمرة ذلك واضحة في اتفاق واي حيث جلس الاثنان إلى جانب عرفات، حتى الإدارة الأميركية التي كانت تؤكد على اتصالاتها مع أبي مازن أدركت ضرورة فعل ذلك مع أبى العلاء أيضاً، أنا شخصياً كانت لي علاقات مع أبي مازن طوال الثلاث سنوات الماضية وكانت بعض اللقاءات تتم بسرية في محاولة لنقل رسائل إلى عرفات أو للتغلب على الصعوبات التي تعترض المفاوضات. أما أبو العلاء فلم تكن لي اتصالات كثيرة به وكان التوتر يسود علاقتنا بسبب شجبي المعلن له مرة حين قاد مظاهرة في رام الله وداس العلم الإسرائيلي بقدميه. لكن لقاءنا في واي كان مختلفاً فقد تحاورنا في مسائل هامة. وفي نهاية الأمر فلا أبو العلاء ولا أبو مازن بقادرين على اتخاذ القرارات بل أبو عمار فقط ونتنياهو أدرك فيما بعد أن عرفات هو الشريك للسنوات الأربع القادمة ولا يوجد غيره، هذا ما قاله للرئيس مبارك خلال لقائهما الأول في القاهرة في الثامن عشر من تموز 1996. وقد توصل إلى ذلك

جراء معرفته بأنه لا يمكن إنجاز شيء بدون عرفات، لكن المشكلة الأساسية تكمن في صعوبة إجراء الحوار مع عرفات. وقد حاولنا مراراً ترتيب لقاءات سرية بين الاثنين وفشلنا - أما اللقاءات عند حاجز إيريز فهي غير ممكنة لأنها ستتسرب إلى وسائل الإعلام خلال بضع دقائق، وكان رئيس الحكومة قد اقترح مرة إجراء لقاءات سرية في أي مكان داخل إسرائيل : في عسقلان مثلاً لكن عرفات رفض بإصرار، وتجدر الإشارة إلى أنه كان هناك اقتراح لعقد لقاء على ظهر إحدى حاملات الطائرات الأمريكية الموجودة في المنطقة لكن نتنياهو هو الذي رفض هذه المرة كما رفض عرفات اللقاء في منزل السفير الأميركي في هرتسليا، وهكذا كان أمر اللقاءات السرية مستحيلاً. زاد من الصعوبات أيضاً محدودية فهم عرفات للغة الإنجليزية مما يتطلب وجود مترجم على الدوام، وقد أصبح المترجم المصري الأصل جمال شخصية مؤثرة في المفاوضات أو على الأقل وجود نبيل أبو ردينة مستشار عرفات والشخص المقرب منه ، وعدم تمكن عرفات من اللغة الإنجليزية زاد من ارتباطه بالدكتور صائب عريقات مسؤول لجنة توجيه المفاوضات مع إسرائيل وهو رجل مثقف ضليع بخبايا اللغة الإنجليزية ، استطاع مع السنين تكوين خبرة في المفاوضات وله قدرة السيطرة على جميع مضامين الاتفاقيات مع إسرائيل أكثر من أية شخصية فلسطينية أخرى. أما الدكتور نبيل شعث الذي شارك سابقاً في صياغة الاتفاقيات مع إسرائيل فلم يكن شريكاً في السنوات الثلاث الأخيرة تقريباً لكن عريقات لا يتمتع بثقافة قانونية رسمية وقد وقع في حب الكلمات إلى درجة نسيان أن الهدف من الكلمات هو تحقيق اتفاق ولطالما اعتبره الإسرائيليون معطلاً للوصول إلى اتفاق - وكنا نطلق عليه ضمن أحاديثنا الداخلية صفة (حبة الجوز) - خلال المفاوضات المتعلقة بمطار الدهنية في غزة اقنع عريقات عرفات بفتح الإتفاقية التي توصل إليها اللواء شلومويناي ومفاوضه الفلسطيني فايز زيدان من جديد ، وعرفات الذي يحب

اللعب بين مستشاريه المختلفين نشأ لديه ارتباط كبير بعريقات لكن هذا الارتباط سرعان ما ينفك عندما يصبح عرفات في لحظة الحسم من جانب آخر فإن عريقات الذي يعتبر حليفاً لأبي مازن والاشد عداوة عند إبي العلاء في دائرة صراع القوى في ساحة عرفات لم يكن يحسن فهم هذه التوازنات ولهذا السبب وفي حالات حاسمة من المفاوضات أو أثناء الأزمات كان نتنياهو وكذلك دينيس روس يفضلان الإنفراد بعرفات مع وجود مترجم فقط ، وكان عرفات في أحيان كثيرة يبدي تصلباً بوجود مستشاريه بينما يكون الأمر مختلفاً عندما يكون وحده ومن ينظر إلى عرفات وشفتاه ترتعدان ويداه تتحركان بعصبية يظن أنه في وضع صحي سيئ ، وقد أعتقد البعض خطأ بأنه يعاني من مرض الرعاش (باركينسون) لكن التقارير الطبية الإسرائيلية تؤكد عدم وجود شيء خطير ووشيك على حياته ، وكان للضربة التي تلقاها في رأسه جراء تحطم طائرته فوق الصحراء الليبية الأثر في الحالة التي هو عليها وعلى ما يبدو فإنه لا يواجه صعوبات كبرى في أداء وظائفه وأعماله فهو كثير التجوال في العالم ويقضي وقتاً داخل الطائرات أكثر مما هو على الأرض ، أنه يمارس نمط حياة استثنائي فهو يبدأ لقاءاته العملية في ساعة متأخرة من الليل وينهي يومه في الساعة الثالثة أو الرابعة قبل الفجر ، وهذا ما يضطر الإسرائيليين والأمريكيين إلى ترتيب لقاءاتهم به وفق جدوله ونظامه في العمل فقد كانت لقاءات نتنياهو واولبرايت وروس مع عرفات تجري عند منتصف الليل في حالات كثيرة . من جانب آخر يمكن وصف عرفات بأنه " الناجي الأكبر للقرن العشرين" فقد نجا مراراً من محاولات الاغتيال والتصفية سواء من جانب إسرائيل أو في معارك بيروت وغيرها، كما أن المرء يجد صعوبة حين يجلس قبالته في القول بينه وبين نفسه بأن هذا الرجل مسؤول عن قتل الكثير من البشر ولقد اتيحت لي الفرصة الحقيقية لتمعنه عن قرب ولأول مرة في اللقاء الذي تم عند حاجز ايريز بينه وبين

رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو في الرابع من أيلول عام 1996، لقد كان امامي رجل يفوق عمره بكثير أما وضعه الصحي فهو صعب – ولكن حذار من الخطأ فالرجل ليس مسكيناً – ليس بسبب ماضيه ولا بسبب الأموال التي تتدفق إلى حساباته شهرياً فالرجل كان زعيماً عربياً على فراش المرض إلى أن بث فيه اتفاق اوسلو روح الحياة وعاد إلى غزة ورام الله ونابلس وأريحا وسائر مدن الضفة الغربية باحترام، وهو ضيف معزز مكرم في قصور وبلاط الملوك ولدى رؤساء الدول، أنه يترأس منظمة وكياناً يحظيان باعتراف دولي واسع بل أصبح مؤخراً عزيز الإدارة الأمريكية في واشنطن – لكنه لا يكثر من التحليق في جميع أنحاء العالم عبثاً كما أنه لا يبدو منزعجاً من الصراع على الوراثة في الشارع الفلسطيني شرط ألا يجري ذلك وهو على قيد الحياة فلقد استشاط غضباً جراء مشاهدته لبرنامج تليفزيوني فلسطيني يتحدث عن الوراثة كما غضب عندما وصل إلى سمعه بأن جبريل الرجوب يحلم بخلافته ذات يوم، وهو في الوقت نفسه لا يشير إلى أحد كي يخلفه كما لا يمنح ميزات خاصة للمتنافسين على القيادة، وحلم عرفات الأكبر هو الصلاة في المسجد الأقصى كرئيس لدولة فلسطين ولو لم يصطدم بخصم سياسي عنيد هو نتنياهو لكان قد حقق حلمه هذا منذ زمن.

ومرحلة ما بعد عرفات تشكل علامة استفهام كبرى ليس على صعيد الشارع الفلسطيني فحسب وإنما في إسرائيل أيضاً ولكن من خلال معرفتي بجميع أفراد الطاقم الفلسطيني لم التق أحداً من شأنه أن يكون قادراً على أخذ مكانه بشكل طبيعي، لا يوجد شخص في صفوف المنظمة يحظى بقبول جميع الفئات والتيارات مثل عرفات.

وفي حال رحيل عرفات فإن صراعاً قاسياً سيجري على الميراث بين أبي مازن وأبي العلاء وجبريل الرجوب وليس هناك من ضمانات في عدم الانزلاق نحو صراعات مسلحة خاصة وأن حماس هي أيضاً في انتظار الفرصة المناسبة للسيطرة على

السلطة الفلسطينية في حال غياب خصمهم الأكبر عرفات، كما أن هذا اليوم سيكون بمثابة المحك الحقيقي لاستقرار الاتفاقيات التي تم التوقيع عليها بيننا وبين الفلسطينيين، فهل يستمر العمل بهذه الاتفاقيات كمصلحة فلسطينية ولو كان ذلك فهل الخليفة بقادر على فرض ذلك على الشعب الفلسطيني، هذا ما ستخبرنا به الأيام.

الاختيار الصعب الأول في علاقات حكومة إسرائيل الجديدة آنذاك، والعلاقة بين نتنياهو وعرفات كانت اكثر صعوبة مما هو متوقع، ففي نهاية شهر أيلول 1996 أطلق أفراد من الشرطة الفلسطينية النار على الجنود الإسرائيليين مما أدى إلى مقتل ستة عشر جندياً، إنه ثمن فظيع، وهكذا وبعد ثلاثة أشهر من انتخاب نتنياهو كانت الاتفاقية مع المنظمة على شفا حفرة من الانهيار. كما كان خطر احتمالات المواجهة العسكرية قائماً في أعقاب حادثة النفق التي جرت بقرار من رئيس الحكومة وبتشجيع من أيهود أولمرت رئيس بلدية القدس بفتح نفق حائط المبكى ليلة انتهاء عيد الغفران 96/9/24 واتهم عرفات ورجال السلطة إسرائيل بمحاولة هدم المسجد الأقصى وكادت حادثة النفق أن تكون الشرارة الأولى لمواجهة دينية وقومية ووطنية لا مثيل لها، وقد قال رئيس الحكومة في الموضوع " نحن نمس هناك بصخرة وجودنا " وعند نشوب الاضطرابات في اليوم التالي كان نتنياهو خارج البلاد وهكذا فقد واجه الاختيار الصعب وهو في الخارج، كنت على اتصال به لحظة بلحظة وكان في يوم الخميس 9/26 بصدد لقاء المستشار الألماني هلموت كول فقلت له أن الوضع آخذ في التدهور ولا تكرر غلطة رابين الذي كان في الولايات المتحدة أبان اندلاع الانتفاضة في كانون الأول 1987 وقد تردد رابين وماطل في العودة حتى أصبح من المستحيل إعادة العفريت إلى الزجاجة . وتجدر الإشارة إلى أنه بناء لقانون أساس الحكومة الذي حدد الانتخابات المباشرة لرئيس الحكومة لم يعد هناك المفهوم الرسمي للقائم بأعمال

رئيس الحكومة وهذا يعني أن رئيس الحكومة يحمل صلاحياته معه إلا أن الواقع السياسي كان أقوى إذ حتم قيام أحد الوزراء بمهام رئيس الحكومة أثناء غيابه، ديفيد ليفي وزير الخارجية كان متغيباً هو الآخر عندما وقعت حادثة النفق فقام بإدارة الأمور موشي كاتساف نائب رئيس الحكومة وساعدته بصفتي سكرتيراً للحكومة غير أن نتنياهو قطع زيارته لخطورة تطور الأحداث وإدراكه لاستحالة التعامل مع الأزمة بواسطة جهاز التحكم عن بعد. وفور عودته عقد اجتماعاً طارئاً مع المجلس الوزاري قال في بدايته " أننا نمر بحالة اختبار فيما يتعلق بالاتفاق مع الفلسطينيين ومع حكومتنا أيضاً وعرفات يتصرف بعكس المعلومات، والأمر لا يتعلق باختبار لسيادتنا على القدس فقط وإنما حيال قدرة عرفات كونه شريكاً في المفاوضات، سوف تمارس علينا ضغوط لإغلاق النفق ولكن ينبغي علينا الصمود والعمل على استقرار الأوضاع " وأثناء هذا الصراع العنيف كان هناك بعض الشباب الإسرائيليين محاصرين في منطقة قبر يوسف في قلب مدينة نابلس الخاضعة للسيطرة الفلسطينية المعروفة بمنطقة (أ) وأفادت تقارير قائد المنطقة الوسطى بخطورة الوضع مما جعل البعض يقترح في الجلسة ذاتها إصدار أمر للفلسطينيين بمغادرة نابلس والدخول بقوة كبيرة لاحتلال المنطقة وهذا يعني إمكانية مواجهة عسكرية شاملة ضد السلطة الفلسطينية وربما اكثر من ذلك وقد أبدى رئيس الأركان شاماك رأيه في أن موضوع احتلال المنطقة مهمة قابلة للتنفيذ لكنه لا يوصي بها. فتقرر في النهاية بأن تبقى القوة الإسرائيلية في الموقع محاطة بقوات الشرطة الفلسطينية المحيطة بالمكان. وكان نتنياهو طوال الأزمة يرفض أية توصية بإخلاء منطقة قبر يوسف على اعتبار أن إخلاء أية نقطة يهودية ذات قيمة تاريخية ودينية في ظل الضغط والعنف يعتبر سابقة خطيرة كما خشي من أن يفسر الفلسطينيون الأمر على أنه ضعف، وقد دفع نتنياهو مقابل ذلك ثمناً باهظاً. كان نتنياهو قد أجرى اتصالات مع

الأمريكان والأوروبيين لاطلاعهم على التفاصيل مؤكداً لهم بأن عرفات لو لم يجد هذه الفرصة للشروع بالعنف والضغط على إسرائيل لوجد غيرها، وكان أثناء وجوده في ألمانيا قد اتصل بعرفات قائلاً بلهجة شديدة أنه لن يحصل على ثمار سياسية جراء هذا العنف الذي إذا ما استمر فإن العملية برمتها عرضة للانهيار ومؤكداً على أنه لن يوافق على سد النفق، الإدارة الأميركية من جانبها حاولت ممارسة ضغوط على نتنياهو لإغلاق النفق وتهدئة الخواطر لكن توجهات كريستوفر تم رفضها بشكل قاطع واشتد التوتر إلى درجة ساد معها الشعور بأن مزيداً من الانزلاق نحو العنف سيجعل الوضع غير قابل للسيطرة.

لقد قيل بأن عرفات أصابه الذهول من رسالة نتنياهو وقال " سوف ابذل كل ما بوسعي لتبريد الأوضاع " كما حاول الرئيس مبارك التدخل ودعا جميع الأطراف لعقد قمة في القاهرة وهي الدعوة التي رفضها نتنياهو بأدب، واستمرت أعمال العنف كما كان الوضع خطيراً في نقاط الاحتكاك الطبيعي بين الجيش الإسرائيلي والشرطة الفلسطينية وتحدث عرفات ونتنياهو للمرة الثانية خلال الأزمة، عرفات يؤكد مجدداً بذل قصارى جهوده للسيطرة على الوضع ونتنياهو يكرر التحذير، واستمرت الأوضاع على ما هي عليه وعاود الأمريكيون التدخل فاتصل الرئيس كلينتون بنتنياهو كما طلب من دينيس روس إجراء اتصالات مكثفة مع جميع الأطراف لتهدئة الخواطر، ولم يكتف الرئيس الأمريكي بمحادثة نتنياهو بل تحدث مع وزير الخارجية ديفيد ليفي اعتقاداً منه بأنه سيجد حلقة ضعيفة يستطيع بواسطتها إرغام نتنياهو على التنازل وإغلاق النفق إلا أن ليفي سرعان ما أشعره بخطأ تفكيره حين أجابه " بأن إغلاق النفق أمر سيئ وهذا معناه أنه لا توجد حكومة ولا عملية سلمية وأن عرفات إذا لم يستطع التأثير على رجاله بوقف العنف فإنه ليس شريكاً في العملية السياسية " وأضاف قائلاً لروس " أنه

إذا كان أفراد الشرطة الفلسطينية الذين سلمتهم إسرائيل السلاح وفق اتفاقية اوسلو هم الذين يطلقون النار على جنودنا فلا فرق بينهم وبين حماس " ودفع استمرار الأزمة بالرئيس كلينتون إلى القيام بمخاطرة شخصية من خلال دعوة عرفات ونتنياهو للالتقاء به في البيت الأبيض لبحث الأزمة، وبالفعل توجه رئيس الحكومة إلى واشنطن وسط أجواء من التوتر فلقد علمنا بأن الرئيس الأمريكي لن يسمح لنفسه بالفشل وسوف يمارس ضغوطاً كبيرة على نتنياهو لإغلاق النفق، وقد بدت الضغوط واضحة من محاولة كريستوفر وزير الخارجية الأمريكي أثناء استقباله لنا لكن نتنياهو الذي كان جاهزاً بشكل جيد لمثل هذا السيناريو رفض الطلب وقال " إن إغلاق النفق ينطوي على معنى أكثر تدميراً في المستقبل إذ سيلجأ عرفات في كل مرة لا يكون فيها راضياً عن إسرائيل لاستخدام العنف " وفي جلسة المباحثات الأولى مع دينيس روس لم يكن بالإمكان تجاهل الضغوط الأميركية علينا – أنا والمحامي مولخو وممثل وزارة الخارجية يعقوب برودغو والمدير العام للوزارة ايتان بنتسور ووضعوا أمامنا مسودة اللقاء بين الزعماء والتي رفضناها كلية وكانت تلك نقطة المواجهة الأولى بين الإدارة الأميركية وحكومة نتنياهو – عندها بدأت ليلة مفاوضات طويلة ومضنية حتى أن برودغو اعتراه التعب وغلبه النعاس فقال مولخو: "هذا جزء من التكتيك الأميركي الإستنزافي" واعتقدنا أيضاً وقدرنا إمكانية تجسس الأمريكيين علينا داخل الغرفة فقررنا الإصرار على مواقفنا، وقلت لمولخو سنرى من سيكون المستنزف أولاً، وعند انتهاء الليلة الأولى كانت الورقة الأميركية قد بدأت مضامينها في الاختلاف عما كانت عليه في البداية وفشل الأمريكيون في التوصل إلى اتفاق مع الفلسطينيين وأدرك الأمريكيون بأن السبيل الوحيد أمامهم لإنقاذ القمة وحفظ هيبة الرئيس الأميركي هو صياغة بيان عام بعد انتهاء اللقاء بين الزعيمين، وكان أكثر ما يقلقنا هو الأمن على ضوء تصرفات الشرطة الفلسطينية

خاصة وأن المفاوضات حول الخليل اقتربت ونتيجة للأحداث الأخيرة سنكون بحاجة إلى ترتيبات أمنية إضافية، وهكذا ما أن خرجنا من أزمة النفق حتى بدأنا بفتح اتفاقية الخليل بمزيد من التنسيق في الجانب الأمني واستطعنا أثناء المفاوضات حول الخليل من استبعاد الشرطة الفلسطينية عن خطوط التماس القريبة من اليهود والحد من حركة تجوالهم، وقد تم ذلك كله بالاستفادة من السابقة الخطيرة التي تمثلت بالاحتكاك مع الشرطة الفلسطينية أبان حادثة النفق، وعلى الرغم من التوتر الشديد الذي ساد لقاء عرفات نتنياهو - الأول في البيت الأبيض إلا أن الاتفاق بشأن تشكيل لجنتين لشؤون الخليل والأمن قد تم ورفضنا تحديد موعد نهائي لمفاوضات الخليل من جانب الأميركيين كما رفضنا طلب الفلسطينيين إغلاق النفق، انتهت أزمة النفق لكن جرحاً عميقاً ومؤلماً حيال الثقة بين الفلسطينيين والإسرائيليين كان قد انفتح وهذا ما انسحب على مفاوضات الخليل ولم يكن ممكناً لنا في أول جلسة عند حاجز إيريز نسيان جنودنا الذين ذهبوا ضحية استخدام عرفات للعنف بهدف تحقيق مكاسب سياسية لكنهم بالمقابل أدركوا أن الأجدى لهم إجراء مفاوضات مفتوحة وجدية معنا.

التعليق

في هذا الفصل الذي اخترناه من كتاب داني نافيه " أسرار الحكومة "، تتضح مجموعة من الأمور التي يجب الإشارة إليها.

ثمة رغبة جامحة لدى حكومة ناتانياهو لتجنب الحديث مع الرئيس عرفات ومع قادة السلطة الوطنية منذ اليوم الأول لصعود حكومة الليكود التي ترى في اتفاق أوسلو خطراً كبيراً على كيان الدولة العبرية، ولكنها وجدت نفسها بلا خيار آخر بسبب الضغوط العربية والدولية وهذا يؤكد أن أحد محاور السياسة الفلسطينية يجب أن يكون على الدوام توفير أقصى قدر ممكن من هذه الضغوط، لكسر الاختلال في موازين القوى، ما أمكن ذلك.

لكن أهم ما أود الإشارة إليه هو وجود تقييمات خاطئة لدى كبار المسؤولين في إسرائيل رغم الأوهام الموجودة لدينا بأنهم يعرفون أدق التفاصيل عن أوضاعنا الداخلية، الفلسطينية والعربية، يبدو أن النصر له آباء والهزيمة يتيمة، وعدم قدرتنا على تحقيق النصر لعقود من الزمن يعود أساساً لضعفنا، وليس لقوة الطرف الآخر وثمة فارق كبير بين الأمرين، لهذا تصورنا الخصم يملك قوة أسطورية وخاصة بعد عام 1967م. قبل ذلك كنا نستهين بإسرائيل واهمين أن الصواريخ العربية قادرة على سحق عظام الدولة العبرية وان كل ما نريده فسحة من الوقت للقضاء على إسرائيل، قبل أن يهب الأسطول السادس الأمريكي لنجدتها. جاءت الهزيمة الساحقة في حزيران الأسود من عام 1967م لتجعل الشعور والمزاج والموقف العام ينقلب للنقيض من الاستهانة بالخصم إلى تصويره كأسطورة لا تنهزم واستخبارات ترصد دبيب النمل، وجاءت حرب أكتوبر لعام 1973م، لتحدث تعديلات في الصورة العامة، ولكنها بقيت تعديلات محدودة.

في هذا الفصل يتحدث نافيه عن رفض اللقاء بخالد سلام كمبعوث للرئيس عرفات ولكنه يعترف أن ذلك كان رد فعل عاطفي وسريع، إذ أن سلام ذو تأثير قوي على أبو عمار واستثمرت حكومة رابين مثل هذا التأثير. من يعرف الوضع الداخلي الفلسطيني يسخر من هذه الأقوال، إذ أن خالد سلام له مهمات اقتصادية ولا يحاول ممارسة دور سياسي ولا تتم استشارته في القضايا السياسية.

والخلاف بين أبو العلاء وأبو مازن واقتراب د. صائب عريقات (وهو متشدد) من أبو مازن المعتدل وكافة الحكايات التي يتحدث بها نافيه حول الخلافات الداخلية الفلسطينية، بعيدة عن الحقيقة إذ أزعم أنني أعرف الكثير عن البيت الداخلي الفلسطيني، حين أصبح أبو العلاء رئيساً للمجلس التشريعي لم يعد ممكناً أن يستمر في دوره التفاوضي المعلن، واستمرت له ادوار من نوع آخر، وفي نهاية الأمر ومهما كانت اجتهادات المجتهدين فإن القرار بيد ياسر عرفات كما يقول نافية الذي يعترف صراحة أن عرفات لا يلين بسهولة وأنه تمكن من دبّ الذعر في صفوفهم.

هل حقاً يميل عرفات للاعتدال حين يكون منفرداً في المفاوضات رأساً لرأس مع صانع القرار الإسرائيلي، ولكنه يتجه نحو التشدد في حضور مستشاريه. لديّ نفس الانطباع ولكن الأمر له تفسير واضح إذ حين يتفاوض مع رئيس الوزراء الإسرائيلي يكون هناك مجال للوصول لقرارات وذلك يحتاج لتنازلات من الطرفين. في المفاوضات الموسعة فإن كل طرف يطرح مطالب الحد الأقصى أو شيئاً قريباً منها - والجميع يعرفون أن القرارات النهائية يتم أخذها في لقاءات قمة، فلماذا إعطاء التنازلات قبل ذلك ولو بدقيقة واحدة. لقد سألوا رجال علم النفس في إسرائيل، العاملين كما يبدو مع الأجهزة عن تفسيرهم لتشدد عرفات في بعض الحالات وبأكثر من كل التصورات، واتجاهه نحو الاعتدال وبشكل غير متوقع في حالات

أخرى. سألوهم عن تفسير هذه الظاهرة فأجابوا بأن القادة يتجهون نحو شيء من التناقض وهم ينتقلون من الحرب للسلام ومن موقع إلى موقع، وأظن ذلك ينطبق عليهم كما ينطبق علينا، بنفس الدرجة تماماً. في إسرائيل يتحدث المتطرفون عن استغرابهم من تنازلات مزعومة لاسحق رابين وقد كان من عتاة المتشددين في إسرائيل.

أما قصة خلافة ياسر عرفات، فقد تحدثوا عنها مطولاً في الصحافة الإسرائيلية، وحددوا شهوراً انفضت منذ زمن طويل لرحيل أبو عمار. داني نافيه يعترف الآن، خلافاً لما كانت تقول به حكومته في حينه، بأن عرفات قادر على العمل وعلى اتخاذ القرارات بشكل كبير وربما استثنائي. ولكن حديثه عن خلافة عرفات (بعد عمر طويل)، تنقصه المعلومات الدقيقة التي يفترض أن يعرفها سكرتير عام الحكومة الإسرائيلية، إلا إذا كان يقصد التضليل المسبق، إذ أن أية قراءة مهما كانت مبسّطة لتضاريس الواقع الفلسطيني تؤكد استحالة تفكير، مجرد تفكير، قادة حماس، بالسيطرة على الوضع الفلسطيني... إذ لا توجد آلية لذلك وليست بيدهم أية قوى مادية تمكنهم من إصدار البيان رقم 1 وتحريك الجيش نحو إذاعتنا وتلفزيوننا، لا سمح الله ، وقادة حماس وقد نشرت معهم عشرات الحوارات أكدوا أن مثل هذا السيناريو المرعب ، غير ممكن عملياً ولا تفكر فيه حماس التي تعرف جيداً أن منظمة التحرير معترف بها عربياً ودولياً، الأمر الذي لا تملكه حماس. وحكاية احتمال صعود عسكري لسدة السلطة احتمال بعيد، ويدل أن نافيه لا يعرف طبيعة الولاء الداخلي، وخاصة في حركة فتح، للقيادات الأساسية من أعضاء اللجنة المركزية للحركة. كل إنسان له طموحاته، ولكن الكثيرين يعرفون حدود الإمكانات ولا يقامرون بخسارة كل شيء.

إتفاق الخليل ، زيارة الملك حسين ، الخلاف مع واشنطن

زيارة رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو الأولى إلى القاهرة في الثامن عشر من تموز 1996 كانت هامة لتبديد الأصوات الصاخبة التي تعالت في العالم العربي مبشرة بنهاية السلام ودق أجراس الحرب، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان نتنياهو يهدف إلى تنشيط العلاقات مع الرئيس المصري لدفع المفاوضات مع عرفات قدماً للأمام وفتح قناة حوار مع سوريا حتى أن نتنياهو كان يسجل في الطائرة ملاحظاته على بطاقات صغيرة احتفظت بها فيما بعد لتغطية تاريخ سياسي ذي أهمية، تفاصيل الرحلة بكاملها كانت توحي بأننا في طريقنا " لزيارة تاريخية للقاهرة " حسب تعبير أحد أفراد طاقم رئيس الوزراء، هذا وعلى الرغم من الصعوبات والمشكلات التي تعتري علاقتنا بمصر إلا أنني كنت أشعر بوجوب المحافظة على السلام مع مصر بشكل قوي إذ أن السلام البارد أفضل من حالة الحرب، الحركات النظامية للجنود المصريين الذين كانوا في استقبال رئيس الحكومة ذكرتني بمشهد اغتيال السادات ويبدو أن الفكرة ذاتها لمعت في ذهن السكرتير العسكري اللواء زئيف ليفني في اللحظة نفسها، في اللقاء الذي جرى بين نتنياهو ومبارك على انفراد أكد نتنياهو على أن حكومة الليكود هي التي قامت بالتوقيع على اتفاقية كامب ديفيد وحضرت مؤتمر مدريد ونحن ملزمون بتطبيق هذه الاتفاقيات بما فيها اوسلو - أما فيما يخص سوريا - فليست هناك أية اتفاقيات موقعة إلى جانب وجود التفاوت والاختلاف في وجهات النظر ولا يوجد اتفاق بشأن الجولان فالذي تم تلخيصه باتفاقيات موقعة نحن نحترمه " وكان نتنياهو يحمل رسالة من رئيس الدولة عيزرا فايتسمان والتي أسهمت في ترطيب الأجواء بين الاثنين، من جانب آخر أبلغ نتنياهو الرئيس المصري بأن هناك لقاء وشيكاً بين وزير الخارجية ديفيد

ليفي وعرفات مما يهيء الأرضية للقاء بينه وبين عرفات .
كانت البداية جيدة فقد التزم نتنياهو بإجراء مفاوضات مع الفلسطينيين بشأن الخليل وفقاً للإحتياجات الأمنية الإسرائيلية، وفي خطوة غير عادية دعا مبارك المراسلين الإسرائيليين المرافقين لرئيس الحكومة لحديث معهم اثنى فيه على نتنياهو بعدما سمع بترويج قصص عن صعوبة اللقاء بينه وبين نتنياهو، وخلال ذلك نشأت علاقة أولية مع مستشار الرئيس مبارك أسامه الباز. والباز يواكب العملية السلمية منذ مفاوضات كامب ديفيد التي أدارها الرئيس السادات في حينه، وهو رجل ذكي وحكيم وذو خبرة واسعة في الشؤون الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلي بكافة تياراته كما أنه خلال الحديث فيما بيننا عن وضع المجتمع الإسرائيلي ويهود الولايات المتحدة كان يمزج كلامه ببعض المفردات بالايدشية فقال لي : يشكو الفلسطينيون من تصلبك الزائد إزاءهم، كان الحوار فيما بيننا حضاريا يتسم بالود والانفتاح، والباز من أوائل الشخصيات التي هنأتني بانتخابي عضوا في الكنيست حيث اتصل بمنزلي في شوهام وحتى في مرحلة تدهور العلاقة بين مبارك ونتنياهو حافظت على قناة مفتوحة مع الباز ولقد حرصت على علاقتي به من بعد سفر دوري غولد إلى واشنطن والذي كان قد سبقني في الالتقاء به، لقد بذلت جهوداً لترتيب لقاءات مبارك ونتنياهو كما ساهم الباز في إحدى المراحل بمحاولة التوسط بيننا وبين السلطة الفلسطينية، وبشكل غير مألوف زار القدس مراراً كما حل ضيفاً علي في مكتبي وعندما كنت احتاج فحص أفكار جديدة أو نقل رسائل هادئة للفلسطينيين ألجأ بزيارات خاطفة للباز بعضها سرية - إذ أن القناة الهادئة بيننا أتاحت المجال لحل المشكلات وإزالة العوائق التي تعترض المفاوضات مع الفلسطينيين. واعود إلى الانطباع الجيد الذي اتسم به لقاء مبارك نتنياهو الأول والذي لم يستمر على حاله طويلاً نظراً للادعاءات المصرية بأن الإسرائيليين لم ينفذوا وعودهم وبالنظر إلى الملاحظات التي

سجلها نتنياهو بخط يده فانه ليس هناك من شيء لم ينفذه. ولا شك بأن السلام الذي وقعه مناحيم بيغن مع مصر يشكل ذخراً استراتيجياً بالغ الأهمية لإسرائيل، لكن هناك خلافات جوهرية بيننا وبين مصر أيضاً – فالتوجه مع إقامة دولة فلسطينية ضمن حدود عام 1967 وانسحاب إسرائيلي كامل من الجولان، ومبارك يناور بين التزامه بالسلام مع إسرائيل وبين دور مصر كزعيمة للعالم العربي، لكن السلام مع مصر تحول منذ زمن بعيد إلى سلام " بارد" فالصحافة المصرية غنية بالدعاية ضد دولة إسرائيل والسواح المصريون لا يصلون إلى إسرائيل والسواح الاسرائيليون يخافون من السفر إلى القاهرة لاسيما بعد قصة اغتيال وسجن " عزام عزام" كما أن هناك القلائل من رجال الأعمال الإسرائيليين الذين نجحوا في مبادرات واستثمارات اقتصادية في مصر. ولذلك فإن عرفات ورجالاته يلقون آذاناً صاغية لدى الرئيس مبارك أكثر من أي زعيم آخر لكن موافقة عرفات على اتفاقيتي الخليل وواي لم تكن متوجة بتشجيع وحماس مصري فقد كانت الاتصالات مع مبارك تشكل جزءاً من استعدادات نتنياهو للشروع في المفاوضات مع الفلسطينيين وكان نتنياهو قد حدد أهدافه بالقول: " نحن ملتزمون باتفاقيات اوسلو وكل ما جاء بها بخصوص الأمن والتبادلية والذين يوجهون إلي الاتهامات داخل الحكومة وعلى رأسهم بيني بيغن عليهم أن يتذكروا هذا " وسأل أحد الوزراء ماذا بشأن الخليل؟ فسارع نتنياهو إلى توضيح موقفه: " إذا لم نطبق الاتفاقية بشأن الخليل باستثناء بعض التعديلات الملزمة سنكون بمثابة الساعين لنسف العملية وسنواجه جبهة دولية مما ستكون له أبعاده على الوضع في الجبهة الشمالية " فالهدف يجب أن يكون ضمان استمرار الاستيطان اليهودي في الخليل من خلال المحافظة على الأماكن المقدسة " أمام هذا الفصل المليء بالثغرات إزاء الخليل في الاتفاقية المرحلية حاولنا الحصول على تعديلات وبروتوكول أمني ومدني مفصّل – فمدينة الخليل هي المفترق الأكثر

حساسية في النزاع القائم بيننا وبين الفلسطينيين وهي رمز العلاقة الوثيقة للشعب اليهودي بأرض إسرائيل ، عام **1929** تم قتل ستة وسبعين يهودياً في مجزرة كبرى وبعد هذا الحادث بست وخمسين عاماً قتل غولد شتاين تسعة وعشرين عربيا بريئاً في الحرم الإبراهيمي، ويهود الخليل مفعمون بالرسالة والعقائدية القومية – ومن ضمنهم تيارات يمينية متطرفة من أنصار كهانا – يحيط بهم داخل المدينة العربية أغلبية من مؤيدي حماس، وليس عبثاً أن تكون الخليل المدينة الوحيدة التي لم نسلمها إلى سلطة عرفات بل تم اتخاذ ترتيبات خاصة بشأنها ولدى كل من عمل في مجال التفاوض بشأن الخليل انطباع بأنه يمسك برميل بارود في يديه، من هنا كانت الخليل محكاً أساسيا أوليا وهاماً لحكومة نتنياهو في المفاوضات وقد أدار المفاوضات الأمنية من كان في حينه مسؤولاً لقسم التخطيط ورئيس أركان فيما بعد وهو اللواء شاؤول موفّاز مدفوعاً بضمان ترتيبات أمنية تدرأ الخطر اليومي عن حياة السكان اليهود في المدينة، فقد طلبنا مثلاً ضمان حق دخول جنودنا إلى المنطقة الفلسطينية التي ستخليها إسرائيل وقد استغرق النقاش حول هذه النقطة أشهراً طويلة وكان للأميركيين مقترحات عديدة في هذا الشأن لجسر الهوة بين الطرفين كما طالبنا بإدخال تعديلات على الصلاحيات المدنية في الخليل، أثناء إحدى زياراتي للحي اليهودي في المدينة بدا لي الوضع عادياً في منزل إحدى العائلات اليهودية إلى أن أشار أحد السكان إلى سطح منزل مقابل وقال أنهم أطلقوا النار ذات مرة من هناك على روضة أطفال، فأعادني ذلك إلى الوضع الميداني والواقع وأدركت مدى ضخامة مسؤوليتنا – فالأمر من وجهة نظر المفاوضين مجرد اتفاقية سياسية ولكنه بالنسبة للسكان متعلق بحياتهم وحياة أطفالهم. أما المفاوضات حول البروتوكول المدني فقد أجراها من عمل آنذاك منسقاً لنشاطات الحكومة في المناطق اللواء اورن شاحور، وفي الوقت الذي كانت فيه المفاوضات تدخل مرحلة

الزخم في نهاية آب 1998 كان رئيس الحكومة يبحث عن شخص لتولي رئاسة لجنة توجيه المفاوضات مع الفلسطينيين على أن يكون هذا الشخص أميناً وموثوقاً من قبل وزير الخارجية ديفيد ليفي أيضاً - إذ أن قسطاً كبيراً من المساعي السياسية طيلة وجود ليفي في وزارة الخارجية كان منصباً على دبلوماسية مطلوبة للتنسيق بين رئيس الحكومة ووزير خارجيته، وتم اختيار رئيس الأركان السابق دان شومرون مع أن وزير الدفاع يتسحاق موردخاي كان يفضل اختيار رئيس أركان احتياط آخر هو موشي ليفي، وشومرون شخصية مؤدبة ولطيفة وتوحي بالثقة وقد سبق له الوقوف إلى جانب نتنياهو في حملته الانتخابية وهكذا يمكن القول بأن نتنياهو أراد باختيار شومرون رد الجميل له ومكافأته - وقد ظل شومرون طيلة المفاوضات حول الخليل شريكاً ذا قيمة وقمت بشكل غير رسمي بتنسيق عمل الطواقم مع النشاطات الدولية المرافقة فهناك أميركا والأردن ومصر وزيارات دينيس روس العديدة الهادفة إلى دفع عجلة المفاوضات. بينما كان الوفد الفلسطيني يتوجه كل أثنين وخميس تقريباً إلى القاهرة لإجراء المشاورات وقد اشتكى نتنياهو لمبارك من هجوم وسائل الإعلام المصرية على حكومته وطيلة فترة المفاوضات حافظت وغولد على علاقتنا بأسامة الباز لضمان عدم وقوف مصر أمام تحقيق اتفاق الخليل وهكذا فإن جهود أشهر طويلة بدأت تعطي ثمارها عند اقتراب نهاية عام 1996 ولكن عرفات في اللحظة الأخيرة بدا ويكل بساطة لا يرغب في التوصل إلى اتفاق حتى أن نتنياهو في شهر كانون الأول تسلم تقريراً من مسؤول شعبة الاستخبارات اللواء موشي يعلون جاء فيه بأن عرفات يخطط لجولة من الاضطرابات لمنع التوصل إلى اتفاق في الخليل ولتحقيق مكاسب سياسية أخرى كالتزام إسرائيل بتنفيذ الانسحابات التي تعقب الخليل، وعلى مقربة من مستوطنة بيت إيل وقع حادث مقتل عائلة تسورانيا الذي دفع ببعض الوزراء للمطالبة باتخاذ قرارات كانت ستؤدي

إلى نسف اتفاقية اوسلو – لكن نتنياهو ومردخاي صمدا في وجه هذه المطالبات وتقرر مطالبة السلطة الفلسطينية بتسليم إسرائيل المسؤولين عن الحادث ومنح مستوطنات الضفة والقطاع أولوية من الدرجة الأولى وأعربت الإدارة الأميركية عن لومها لعرفات وأدانتها لأسلوب المناورة، وبعد فترة طويلة من المفاوضات الصعبة تبلورت نهائياً مسودة اتفاق الخليل وفي الخامس عشر من كانون الثاني 1997 عقدت الحكومة جلسة خاصة للمصادقة عليها. وكان هذا أول اتفاق بين حكومة ليكودية وبين المنظمة وقد تم الحصول على نتائج هامة تتعلق بالترتيبات الأمنية في المدينة مقارنة مع الصيغ العامة والمليئة بالفجوات الواردة في الاتفاقية المرحلية في أيلول 1995 كما تمت الموافقة على المطلب الإسرائيلي بشأن حق دخول الجيش الإسرائيلي إلى المنطقة الفلسطينية، هذا ويشكل اتفاق الخليل تحولاً إزاء تعليمات الاتفاقية المرحلية التي تعتمد عليها إسرائيل في تفسيرها لحق دخول الجيش الإسرائيلي إلى المنطقة الفلسطينية وعلى رأسها البند رقم 12 في الاتفاقية المرحلية وقد أضافت أميركا تفسيراً من عندها ينطوي على أهمية كبرى وهو انه في حال وقوع حادث يكون الأمر محل اختبار وجدل بين إسرائيل وعرفات. والتلخيصات الخاصة بالصلاحيات المدنية في المدينة لا تقل حساسية فقد عملنا طيلة الوقت على عدم المس بقدرة الاستيطان اليهودي على التطور والنمو داخل المدينة ونجحنا أيضاً في جعل الفلسطينيين يقبلون القيود على البناء العربي بالقرب من منطقة اليهود، هذا وقد اعتبرت موضوع حماية الاستيطان اليهودي في الخليل رسالة تاريخية طوال فترة المفاوضات – فاتفاقية اوسلو تشكل تهديداً لمصير الوجود اليهودي في المدينة – على الرغم من أن هذا الإنجاز لا يلبي رغبة السكان وقد تمثل الإنجاز في تقديري بربط شؤون الإسرائيليين في المنطقة (هـ2) – أي منطقة السكن اليهودي بالحكم العسكري الإسرائيلي كما يتضمن البروتوكول الإضافي

فصلاً كاملاً خاصاً بالتخطيط والبناء في الخليل وافق الفلسطينيون فيه على سلسلة من القيود الجديدة لم تكن في الاتفاق المرحلي إذ لا يمكن للفلسطينيين البناء في منطقة تتراوح بين خمسين إلى مائة متر تحت الاستيطان اليهودي بدون التنسيق مع إسرائيل وهذا يعني عدم نمو أو نشوء بناء عربي حول المنطقة اليهودية، وقد نجحنا في جانب آخر قد يعتبر بسيطاً لكنه هام " إذ أنه لا يوجد في هذا البروتوكول ما يخفض أو يقلص من قوة وصلاحية كل طرف من الناحية الأمنية " وهذا يعني أن الجيش الإسرائيلي يستطيع اتخاذ قرارات تتعلق بالحياة المدنية من منطلق صلاحيته الأمنية أي إحاطة وتغليف الاستيطان اليهودي بسور دفاعي آخر في مجال يمكن اليهود من ممارسة حياتهم العادية داخل المدينة. أثناء المفاوضات التي سبقت اتفاق الخليل كان نتنياهو وشارون في حالة تصادم دائم لكن الحكومة صادقت في نهاية الأمر على اتفاق الخليل فانسحب بيني بيغن من الحكومة وبقي شارون على مواقفه – وهكذا تخطت حكومة نتنياهو الاختبار الحقيقي الأول لها على الجبهة السياسية واستمر نتنياهو أيضا في الحفاظ على استقرار ائتلافه، وعند توقيع الاتفاقية بين صائب عريقات من الجانب الفلسطيني ودان شومرون من جانبنا ورغم إنني عملت الكثير من أجل إنجاز هذا الاتفاق فلقد شعرت بالارتياح لأنني لم أوقع الاتفاق مع المنظمة إزاء انسحاب إسرائيلي من الخليل – رغم أن الاتفاق الذي أنجزناه كان جيداً . ولم يقتصر الاتفاق على الخليل فقط فقد انشغلت الأطراف جميعاً في أمر تنفيذ الانسحابات الإسرائيلية الإضافية ومطالبة إسرائيل بالتبادلية.

وفي بداية كانون الثاني 1997 كانت زيارة الملك حسين إلى مكتب رئيس الحكومة بتل أبيب – حيث كان ديفيد بن غوريون قد عقد أول جلسات الحكومة بعد قيام الدولة 1948م .. وكنت شخصياً أشعر بوخزة إذ أننا نضطر لإجراء مفاوضات إزاء تسليم أراض من أرض إسرائيل في نفس الغرفة وقلت للمسؤول

الأردني : اعلم بان هذه غرفة تاريخية تضع على كاهلي كإسرائيلي وزناً ثقيلاً من المسؤولية في هذه المفاوضات الجارية هنا " وقد كان هذا حقيقة ما اشعر به بعد محادثات الخليل، وقد بدأت المفاوضات الآن حول تنفيذ مراحل الانسحاب الإسرائيلي بناء على اتفاقية اوسلو 1995 التي كان من المفروض تنفيذ مراحلها الثلاث حتى أيلول 1997 وقد طلبنا تأجيل هذا الموعد خلال المحادثات ، فلقد أردنا قدر المستطاع دمج تنفيذ الانسحاب بالمفاوضات إزاء التسوية الدائمة فطلبنا تنفيذها في صيف 98 وطالب الفلسطينيون بذلك في أيار واقترح الملك حسين حلاً وسطاً في منتصف عام 98 ورفض عريقات بحجة انتهاء الموعد المتفق عليه في اوسلو لكن عرفات استجاب فيما بعد لاقتراح الملك الحسين وفي مذكرة بعث بها وزير الخارجية الأمريكي كريستوفر إلى نتنياهو طالباً فيها استكمال مراحل إعادة الانتشار الأخرى الثلاثة خلال موعد لا يتجاوز منتصف 1998 مما جعلنا نتساءل ماذا يعني هذا ؟ ورداً على هذا السؤال بعث إلى دينيس روس برسالة جاء فيها " إن الولايات المتحدة تدرك بأن الأمر يتعلق بمدى زمني يمكن أن يصل حتى آب 1998" – من الناحية الفعلية حققنا مرادنا في أن تنتهي عملية الانسحابات في صيف 1998 وليس في شباط – آذار 1998 كما طلب عرفات طيلة مرحلة المفاوضات ، هذا وكان الواقع أقوى وعملية تنفيذ الانسحابات لم تستكمل بعد أي صيف 99 – فكانت رسالة كريستوفر إنجازا سياسياً غاية في الأهمية ، وقد أدعى الفلسطينيون بأن إسرائيل وفق اتفاق أوسلو ملزمة بإجراء مفاوضات معهم حول مدى عمليات الانسحاب وأي المناطق سوف تقوم بإخلائها وفي مكالمة هاتفية بين وزير الخارجية ديفيد ليفي وأبي مازن بعد تشكيل الحكومة بوقت قصير قال أبو مازن : " الحكومة السابقة كانت ستسلمنا 60% من الأرض أي

20% في كل مرة وانتم تريدون التفاوض معنا على منطقة متفق عليها .

نظرت أنا وليفي كل إلى الآخر – وقلت ها قد جاءت الأزمة الكبرى بأسرع مما توقعنا " كنا سمعنا شائعات عن تطلعات الفلسطينيين كما تلقينا معلومات استخبارية بهذا الصدد ، لكنها المرة الأولى التي نسمع بها ذلك بآذاننا ومنذ تلك اللحظة بدأنا تكريس جهودنا السياسية لتقليص المناطق بل وتكريس مبدأ أن إسرائيل هي التي تقرر مدى الانسحاب ومضمونة وأن هذا الأمر ليس مجال تفاوض بيننا وبين الفلسطينيين ، وبالفعل فقد أثمرت الجهود السياسية وتوجت ذلك رسالة كريستوفر التي أكدت تحديد إسرائيل لشكل عملية إعادة الانتشار أي أن الأمر يخضع لتحديد إسرائيل وليس مجالاً للمفاوضات ، لكن هذا لم يدم طويلاً فقد صدر عن مصدر مجهول في الإدارة الأمريكية تصريح يرفض تفسير رسالة كريستوفر على النحو الذي كان لنا فثارت الضجة في جلسة الحكومة التي انعقدت للمصادقة على اتفاق الخليل مما اضطر نتنياهو إلى قطع الجلسة طالباً مني الاتصال فوراً بالسفير الأمريكي مارتن انديك لاستيضاح الأمور وأخبرته باسم نتنياهو أنه إذا لم توضح الإدارة الأمريكية موقفها فإن الحكومة لن تصادق على اتفاق الخليل – وبالفعل لم يتأخر الرد الأمريكي الذي تمثل ببيان لوزارة الخارجية الأمريكية يقول أن مراحل إعادة الانتشار هي مسائل للتطبيق من قبل إسرائيل وليست مواضيع للتفاوض مع الفلسطينيين، ديفيد ليفي غادر جلسة الحكومة للمشاركة في حفل زفاف أحد أولاده ، أما أنا فقد استنتجت أن التسريب الأمريكي المشار إليه أضاء ضوءاً أحمر لدي فيما يتعلق بنوايا واشنطن – وللأسف الشديد كنت مصيباً فعندما دخلنا مرحلة التفاوض حول الإنسحاب الثاني بعد عام من ذلك التاريخ تجاهلت الإدارة الأمريكية كلياً رسالة كريستوفر وتوضيحات أنديك وأن الذي عكس الموقف الأمريكي الحقيقي كان تحديداً "المصدر المجهول".

أما الإنجاز الكبير الذي رافق اتفاق الخليل فقد تمثل في التبادلية (في حال يعطون يأخذون وإذا لم يعطوا فلن يأخذوا) أحد الشعارات الريادية التي أطلقها واستخدمها نتنياهو خلال حملته الانتخابية عام 1999 وكان يلخص إنجازا للحكومة في سير التفاوض مع الفلسطينيين ، إلى جانب بروتوكول الخليل توصل الإسرائيليون والفلسطينيون إلى الاتفاق بشأن وثيقة (تسجيل الملف) حددت التبادلية كمبدأ وسلسلة الالتزامات الإسرائيلية بشأن إعادة الانتشار والإفراج عن السجناء واستئناف المفاوضات المرحلية والنهائية خلال شهرين من اتفاق الخليل ، وقد قبل الفلسطينيون لأول مرة استكمال عملية تعديل الميثاق الوطني إلى جانب مجموعة من الخطوات الخاصة بمكافحة العنف والإرهاب والتحريض عليهما وجمع الأسلحة غير القانونية ومعالجة المطلب الإسرائيلي بتسليم أشخاص وفقاً للاتفاقية المرحلية و تقليص حجم ونفوذ الشرطة ولذلك فإن أي نشاط في منطقة ليست خاضعة لسيطرتهم بعد خرقاً للإتفاق .
وفي ساعة متأخرة من الليل وبعد انتهاء جلسة الحكومة التي صادقت على اتفاق الخليل وكنا في شهر كانون الثاني والشتاء في ذروته ، دخلت غرفة رئيس الحكومة وجهاز التكييف مفتوح فيها – لقد كان الجو حاراً لنتنياهو بعد مفاوضات طويلة ومضنية وقلت له لقد حققت إنجازاً هاماً " فاقتحم الغرفة شاي بازاك كعادته دون استئذان ليخبر نتنياهو بما جاء في الأخبار عن " أنه حقق إنجازاً هاماً " فبادرت إلى التخفيف من حماسته وقلت " لا يزال الطريق طويلاً وهناك العديد من الصعوبات أمامنا وخلافات ومشكلات صعبة تواجهنا " لقد بقي الوضع في الخليل قابلاً للانفجار والوضع الأمني للسكان اليهود صعب ومعقد ولكنه اسقط التكهنات السوداء لمعارضي الاتفاق بحصول مجزرة على غرار ما حدث عام 1929 وتجدر الإشارة إلى أن حكومة نتنياهو ورثت عن حكومتي رابين وبيريس مشكلة الخليل لكنها نجحت

في التوصل إلى تسوية بشأنها - فيما بعد فإن قـرار الحكومـة البدء بأعمال البنية التحتية في جبل أبو غنيم قلب الأوضاع التـي كان من الممكن أن تمهد لفرص سلام أخرى هـذا إلـى جـانب تحطم مروحيتين لسلاح الجو الإسرائيلي فوق مستوطنة شـاريا شوف في الرابع من شباط 1997 والتـي أودت بحيـاة ثلاثـة وسبعين جندياً وكانت افظع حادثة فـي تـاريخ سـلاح الجـو الإسرائيلي وأصيبت المعنويات الإسرائيلية في صميمها بعد جدال دبلوماسي وسياسي طويل في خضم المفاوضات وكـان عـامل الوحدة بين الإسرائيليين هو المصاب مرة أخرى .

التعليق

يقول داني نافيه صراحة في هذا الفصل انه كان سعيداً لانهم لم يكلفوه بالتوقيع على اتفاق الخليل لأنه سيوقع على تنازل عن أرض إسرائيل وعن بقعة غالية ومقدسة منها، وذلك يعني أن الليكود رغم تعديلات اتفاق الخليل سلّم في نهاية الأمر بأن مسيرة السلام مقابل الأرض قد تجاوزت نقطة اللاعودة ودفعت بالليكود للتنازل عن 80% من الخليل التي يعتبرونها مقدسة بشكل متساو لأهمية القدس. يقول نافية في هذا الفصل أنه اجتمع مع مسؤول أردني كبير في نفس الغرفة التي كان يقيم فيها ديفيد بن غوريون الذي أقام الدولة وهاهم يجتمعون للتنازل عن اجزاء من الأرض متناسياً أن بن غوريون في أيامه الأخيرة لم يكن متحمساً لحرب حزيران ونتائجها وكان خائفاً من المستقبل ، والعقود التي تلت حزيران أثبتت أن الانتصار الساحق في حرب الديبلوكس ونزهة الدبابات لم تحقق – حتى الآن – السلام للإسرائيليين. ومع ذلك فلا بد من النظر بجدية للتنازلات التي قدمها المفاوضون الفلسطينيون في اتفاق الخليل، كما شرحها داني نافيه في هذا الفصل، وهي تنازلات أنكّرها المفاوض الفلسطيني الذي تحدث عن إنجازاته في اتفاق الخليل دون أن يشير للثمن الذي قدمه، وقد تذكرت وأنا اقرأ هذه الحقائق غير المعروفة للجمهور الفلسطيني عن سلبيات اتفاق الخليل وهي في نظر نافيه إنجازات هامة بالطبع ، تذكرت ما قاله لي مسؤول فلسطيني كبير، لا أستطيع ذكر اسمه لأنني سأفتح له أبواب مشكلات عديدة، من أن الخطأ الأكبر الذي ارتكبه المفاوض الفلسطيني كان تنازلات اتفاق الخليل الذي يعتبر في نظر هذا المسؤول الفلسطيني رجوعاً كبيراً عن اتفاق اوسلو ذاته، وهو الاتفاق الذي جرّ للتنازلات اللاحقة وشكل أداة كبرى بيد الجانب الإسرائيلي، يتحدث نافيه عن إنجازات في اتفاق الخليل وتعديلات واسعة على الاتفاق السابق الموروث من

أيام شمعون بيريس: أصبحت هناك ترتيبات أمنية مفصلة بعيدة عن الصيغ العامة تتيح دخول الجيش الإسرائيلي لمناطق السلطة في الخليل، وربط الإسرائيليين في الخليل، بالحكم العسكري الإسرائيلي، وتوفير سلسلة من القيود الجديدة على البناء الفلسطيني في الخليل وعدم وجود أية قيود على القدرة الأمنية الإسرائيلية . كل هذه الأمور تحدثت بها المعارضة الفلسطينية في حينه وأنكرها الجانب الفلسطيني أو حاول وضعها في صورة مختلفة عن الحقيقة .

يتحدث نافيه عن الجهود الأردنية والمصرية بكثير من التفصيل ويتضح من تفاصيل هذا الموضوع ، أن الأدوار العربية كانت تميل للبحث عن حلول وسط بين المواقف الفلسطينية والمواقف الإسرائيلية ، كان ذلك دورها في التوصل لإتفاق الخليل وكذلك في اتفاق واي ريفر عبر جهود الملك الراحل الحسين بن طلال ، واتفاق شرم الشيخ الأخير والجهود المصرية لانجازه . لهذا فإن الحديث عن وقوف هذين الطرفين مع الموقف الفلسطيني ودعمه حديث غير دقيق ، لأنهم في النهاية يبحثون عن حلول وسط أي أنهم وسطاء يستطيعون بما لهم من ثقل معنوي حث الإسرائيليين على تقديم بعض التنازلات وحث الفلسطينيين أيضاً على تقديم تنازلات مماثلة ، ومن غير المنطقي مطالبتهم بأكثر من ذلك طالما أنهم يقيمون علاقات سلام مع اسرائيل يريدون لها الإستمرار . لم يحدث في أي منعطف ، وفي غمار أية أزمة بين الإسرائيليين والفلسطينيين أن هددت مصر أو الأردن بسحب السفراء احتجاجاً على التعنت الإسرائيلي فهم حريصون على استمرار مسيرة السلام ولهذا لا يستطيعون الا أن يكونوا وسطاء ، وربما يفضل الفلسطينيون ذلك ، على الأدوار الاحتجاجية التي قد لا تجبر الحكومة الإسرائيلية على أية تنازلات .

موضوع هام آخر يطرحه داني نافيه وهو النجاح في تحديد مواعيد الانسحابات (إعادات الانتشار) بما يعني إمكانية إدماج

بعض قضايا المرحلة الانتقالية بالمرحلة النهائية . كان نتنياهو يطالب منذ البداية بالذهاب لمفاوضات المرحلة النهائية حتى لا يضطر لدفع استحقاقات المرحلة الانتقالية وحتى لا يضطر لإعادة الأرض في المرحلة الانتقالية بما يعطي المفاوض الفلسطيني أرضية صلبة في صراعه حول قضايا القدس واللاجئين والمستوطنات . لقد نجحت حكومة نتنياهو في أخذ موقف أمريكي عبر رسالة وارن كريستوفر وزير الخارجية بأن الحكومة الإسرائيلية تملك وحدها حق تحديد نسبة الانسحاب في كل مرحلة والأماكن التي ينسحبون منها ، وهي الرسالة التي تعتمد عليها حكومة باراك الآن في موقفها الرافض للتشاور مع الجانب الفلسطيني في كل ما يتعلق بنسبة الانسحابات والأراضي التي ينسحبون منها . لا يمكن إعادة التاريخ للوراء ولكن الطرف الفلسطيني كان يجب أن يعلن وقف الاتفاق إذا لم تغير واشنطن هذا الموقف المنحاز تماماً لإسرائيل والذي يفقدها دور الوسيط . لقد جرت احتجاجات صامتة وجرت احتجاجات ديبلوماسية مهذبة ولكن شيئاً لم يتغير ، رغم كل جولات دينيس روس .

كان يمكن إثارة هذا الأمر بجدية مطلقة في اتفاق واي ريفر أو في اتفاق شرم الشيخ ولكن ذلك لم يحصل مع الأسف الشديد . تغيير مواعيد الانسحابات لدمج قضايا الانتقالية بالنهائية يجد جذوره في اتفاق الخليل ولكنه تكرّس تماماً في اتفاق شرم الشيخ ، وهو الثغرة الأكبر في الاتفاق . يحاول الجانب الفلسطيني الآن الخروج من ورطة اتفاق شرم الشيخ عبر المطالبة بتحقيق انسحاب ثالث كبير قبل إنجاز اتفاق الإطار، ولكن الأمر يبدو صعباً جداً أمام القيود والتي قبل بها المفاوض الفلسطيني في اتفاق شرم الشيخ الذي أعطى فيه المفاوض الإسرائيلي تنازلات عديدة يفاخر بها مفاوضونا مقابل التنازل الأكبر وهو دمج قضايا انسحابات الانتقالية بالنهائية . حين طالب ياسر عبدربه المفاوض عوديد عيران بضرورة تحقيق

الانسحابات المطلوبة من الأرض قبل التوصل لاتفاق الإطار الذي يستهدف في الواقع تغيير قواعد اللعبة وتغيير المرجعيات ، قال له عوديد عيران : لماذا سنتفاوض إذن في المرحلة النهائية . هذا هو جوهر موقف حكومة باراك المتطابقة تماماً مع موقف حكومة نتنياهو في الخطوط العامة وفي مسألة عدم الانسحاب من الأرض إلا في إطار الحلول النهائية بحيث ينسحبون من 58% من الأرض وكان موقف الليكود الانسحاب في إطار حل نهائي من 50% من أرض الضفة الغربية فقط ومن ثم يتوهمون أنهم يسدلون الستارة على مشهد صراع القرن . سيكتشفون أنهم يعيشون في أوهام لأنهم لن يجدوا فلسطينياً واحداً ولو بعد مائة عام يوافق على مثل هذه التنازلات الباهظة التي لا تؤدي لأي سلام حقيقي .

أسرار المفاوضات مع سوريا

في أيلول 1996 كان الشعور السائد بأننا نسير على حافة الهاوية باتجاه مواجهة عسكرية مع سوريا مما استدعى وزارة الدفاع لوضع خطط الاستعداد والتأهب كذلك الحال في الهيئة العسكرية التي عقدت جلسة طارئة للمصادقة على بعض التوصيات لصد أي هجوم سوري قد يباغتنا، وهذه هي المرة الأولى منذ التسوية المؤقتة مع سوريا والتي تمت في أعقاب حرب أكتوبر (الغفران) التي تلجأ فيها سوريا لمحاولة تغيير الوضع القائم في الجولان، فطلبت إسرائيل من بعض الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة نقل رسالة إلى دمشق، تصادف حينذاك أن رئيس الحكومة نتنياهو كان في زيارة عمل بواشنطن حيث عرض على الرئيس بيل كلينتون خطورة الوضع، وفي الثالث عشر من أيلول كان السفير الأميركي في دمشق مبعوثا من الرئيس كلينتون يقرأ للرئيس الأسد الرسالة مباشرة وبالعربية والانجليزية، الرئيس الأسد من جانبه قرأ الرسالة جيداً اما نحن وقد كنا على أبواب عيدي رأس السنة والغفران فقد اعترانا الشعور بأن هناك محاولة سورية لتكرار ما حدث في حرب أكتوبر 1973 (عيد الغفران) مع أنه يتوجب علينا التذكر بأن الخيار العسكري مع سوريا ليس حتمياً بالضرورة وأن سبب الأزمة هو أن الأسد يفكر بالقيام بعملية خاطفة في الجولان تتيح له السيطرة على منطقة إسرائيلية وبالتالي إرغام الطرفين على التوصل إلى اتفاقية لوقف إطلاق النار فاقتطاع جزء من الجولان يجعل سوريا في موقف التفوق في المفاوضات السياسية. وفور انتهاء الأسد من قراءة رسالة كلينتون قام بتوجيه رسالة أولى لنتنياهو جاء فيها " أنه يعتقد بامكانية إنجاز شيء ما في أعقاب (الوديعة) مؤكداً بأن سوريا لا تفكر بالشروع في حرب وإنما في الذهاب نحو السلام على المدى البعيد ولكن في حال عدم تحقيق سلام شامل فإن كل شيء ممكن الحدوث" كانت هذه

رسالة تطمين وتهديد وزالت الأزمة إلى حين، فقد عادت المخاوف من احتمالات مواجهة عسكرية مع سوريا إلى الظهور خلال فترة قصيرة إذ وصل دينيس روس إلى القدس لدفع عملية المفاوضات الجارية حول الخليل وقال لنا " تصل إلينا إشارات مقلقة من سوريا وإشارات استخبارية تشير إلى استعدادات ونشاطات عسكرية من جانب سوريا كما أن لدينا تأكيدات محسوسة للقيام بإجراء ما خلال المستقبل القريب " . ورد رئيس الحكومة قائلاً " بناء على المعلومات المتوفرة لدينا فإن الرسالة التي بعثت بها الولايات المتحدة إلى سوريا كانت فعالة ويبدو بأن الرئيس الأسد لن يفعل شيئاً قبل انتخابات الرئاسة الأميركية في أول تشرين الثاني وما نريده هو تعزيز رسالتكم لسوريا " تدخل رئيس الأركان امنون شاحاك بالقول أن هناك معلومات متزايدة عن استعدادات عسكرية لشن هجوم في الجولان، هذا وقد تم الاتفاق على تبادل المعلومات الاستخبارية بين إسرائيل والولايات المتحدة ليتقرر فيما بعد أمر نقل رسالة أخرى لسوريا وفي الوقت نفسه كان هناك تفكير حول إعادة العلاقات مع سوريا إلى مسار المبادرة السياسية – عندها أبدى السفير مارتن انديك ملاحظة فقال " انه يتوجب علينا بعد الانتخابات بذل جهود من أجل استئناف المبادرة السياسية مع سوريا " روسيا من جانبها تدخلت لإزالة الاحتقان إذ وصل سفير روسيا إلى إسرائيل في التاسع والعشرين من تشرين أول للقاء رئيس الحكومة في تل أبيب كي ينقل رسالة وزير الخارجية الروسي بريماكوف الذي زار سوريا والتقى الرئيس الأسد وتنص على " أن سوريا وفق التقصي والبحث الروسي لا تنوي شن هجوم على إسرائيل " مضيفاً بأن بريماكوف في دمشق قال للأسد " بأن أي هجوم من جانبه لن يحظى بتأييد روسيا بل بمعارضتها " أراد بريماكوف تهدئة نتنياهو فقال : " لقد تم استيعاب الرسالة جيداً في سوريا". وربما كانت ردود الفعل السياسية السريعة من جانب حكومة إسرائيل إضافة للاستعدادات العسكرية وراء ردع الأسد عن

القيام بعمل عسكري في الجولان فقبل ذلك بشهر ونصف كان الأسد في مباحثاته مع سفير الولايات المتحدة في دمشق كريس روس يقول " بأنه سوف يعمل على إبقاء الأوضاع هادئة خلال الأسابيع القادمة لإزالة التوتر " وظهر أيضاً أن هذه محاولة من الأسد لتحريك الأجواء بهدف ممارسة أو فرض ضغط أميركي على نتنياهو لكي يتبنى المعادلات والصيغ السياسية لأسلافه فليس من باب المصادفة أن يشير الأسد في رسالته لنتنياهو إلى (الوديعة) - لقد كان تقديري خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة بأن هناك احتمالاً في أن يكون الأسد قد اتخذ قراراً استراتيجياً بالتوصل إلى اتفاقية مع إسرائيل ولكن وفق شروطه هو وفي الوقت نفسه يظل الخيار العسكري قائماً كأداة لفرض أهداف سياسية من جانبه وعلى رأسها العودة إلى النقطة التي توقفت عندها المفاوضات مع حزب العمل بناء على مفهومه لهذه (الوديعة) فقد فهم السوريون من الولايات المتحدة من أن رابين (وضع في جيبهم) وعداً بأنه إذا وافق الأسد على سلام كامل مع إسرائيل توافق إسرائيل على انسحاب كامل - هذا طبعاً وفقاً لفهم السوريين - انسحاب حتى خطوط عام 1967 ، وهذه الوديعة هي وثيقة التفاهم الأمني التي تم تلخيصها إبان محادثات واي بلانتشين أيام حكومة رابين - وقد أوضح نتنياهو بأنه غير مستعد لتلبية الطلب السوري باستئناف المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها - وبالنسبة للرئيس السوري وعلى ضوء الوديعة فانه يتوجب استئناف المفاوضات من موافقة رابين على الانسحاب حتى حدود 67 وفي أعقاب اتصالات مع واشنطن بعث وزير الخارجية الأمريكي كريستوفر توضيحات بهذا الشأن إلى القدس. وقد اخبرني أحد الضباط الكبار في جيش الدفاع والمشارك في المفاوضات مع سوريا أيام حكومة رابين بأن فرضية حزب العمل في حينه كانت هي أن رابين على استعداد لانسحاب كامل من الجولان وأضاف بأنه خلال المباحثات التي أجراها مندوبو رابين بعد إعطاء (الوديعة) أجرى السوريون

مفاوضات بشأن الثمن بعد أن أصبحت " البضاعة " مضمونة لهم.

بذل رئيس الحكومة نتنياهو جهوداً على طريق استئناف المفاوضات مع سوريا فقد أرسل بداية مسؤول الموساد في حينه داني يا توم إلى واشنطن لإجراء محادثات سرية مع السفير السوري في واشنطن وليد المعلم غير أن الأخير رفض إجراء حوار كما قام دينيس روس بمحاولات للتقريب بينهما باءت بالفشل أيضاً وأصرّت سوريا على استئناف المفاوضات من حيث توقفت وكانت رسالة الأسد التي رفضها نتنياهو تقول : " إذا وافقت على الانسحاب من الجولان فإن ما تبقى كله مفتوح للمفاوضات ". من جانب آخر كانت المفاوضات على الجانب الفلسطيني في مكانها دون حراك – وحاول نتنياهو البحث عن انطلاقة أخرى على المسار السوري فنقل إلى روس في الخامس عشر من حزيران 1997 أثناء زيارة روس للقدس ما مفاده أنه يحمل اقتراحاً لدمشق بإجراء مفاوضات سرية من أجل التوصل إلى موافقة مبدئية تتعلق بالمسائل الرئيسية مؤكداً التزام إسرائيل بالإصغاء جيداً لمواقف سوريا كما أنها تتوقع الشيء نفسه من جانب سوريا فيما يتعلق بمطالب إسرائيل " بدا روس متحمساً وسجل ملاحظاته وقال : " هذه صيغة إبداعية وكلي أمل بأن تتحرك الأمور لدى الأسد في نهاية الأمر" أما أنا فقد قدمت لنتنياهو توصية قبلها على الفور وبدون تردد وتنص على عدم الموافقة على مطالب سوريا بالانسحاب من الجولان، ولم يتأخر الرد السوري أيضاً بواسطة روس والذي يتضمن وجوب موافقة إسرائيل على استئناف المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها وأن سوريا لن توافق على التفاوض بشأن هذا الأمر، وهكذا تبددت الفرحة في حدوث انطلاقة على هذا المسار. استمرت الولايات المتحدة وإسرائيل في إجراء حوارات متواصلة فيما يتعلق بالآثار الأمنية على التسوية مع سوريا وكانت الولايات المتحدة من جانبها تعرض لإسرائيل الحلول والوسائل في مجال

الإنذار بشأن إمكانية انسحاب إسرائيل من الجولان، لم تنته هذه المحادثات ولم تستكمل كما أنها لم تلق ارتياحاً لدى أجهزتنا الاستخبارية. وخلال حديث لي مع روس في آذار 1998 أوضحت له باسم رئيس الحكومة . حديثنا إزاء كل ما يتعلق بالتفاوض مع السوريين فسألني روس فيما إذا كنا ننقل رسائل إلى دمشق عبر قنوات خاصة فأجبت بأننا لا نفعل ذلك ولا أي شيء غير الذي تعرفونه – فالقناة الخاصة للحوار بين نتنياهو والأسد جاءت في مرحلة متأخرة ، دينيس روس كان ينقل للسفير السوري في واشنطن وليد المعلم ما يجري، وقال لي روس : " بودي القول للمعلم بأن المحادثات التي نجريها مع إسرائيل تشكل إشارة لجدية إسرائيل وأوضح له أيضاً بأن إسرائيل لن تعود إلى شاطئ بحيرة طبريا " هذا وراودني الشك الكبير في إمكانية أن يكون الرد السوري إيجابيا هذه المرة، وهذا ما حصل فعلاً حيث استمر الجمود في أمر استئناف المفاوضات مع سوريا. وكان واضحاً بأن أية اتفاقية بين إسرائيل وسوريا يلزمها التدخل والدعم الأميركي المكثفان . فقد بادر نتنياهو إلى مفاتحة نائب الرئيس الأميركي آل غور أثناء مشاركته في احتفال اليوبيل الخمسين لقيام إسرائيل في 1998/4/30 باستعداده للقيام بعملية سياسية مع سوريا ولكن هذا يتطلب دعماً كبيراً لإسرائيل في المجالين الأمني والاستخباري كما نحتاج إلى تمويل هائل بمليارات الدولارات " كان جواب آل غور : " من المحتمل أن يواجه الأمر صعوبات داخل الكونغرس" وكان صادقا فعلاً إذ لا يعقل أن تكون هناك تسوية مع سوريا بدون تدخل الولايات المتحدة في جميع دوائرها الحكومية وحتى لو توصلت إسرائيل مستقبلاً إلى تفاهم مع دمشق يؤدي إلى اتفاقية بينهما فبدون تفاهم مع الولايات المتحدة إزاء الدعم الأمني والاقتصادي الشامل لإسرائيل وتعويضها عن تبعات وآثار الاتفاقية لا يمكن لإسرائيل وحدها مواجهة أبعاد هذه الاتفاقية. وفي آب 1997 وصلت لمستشار

رئيس الحكومة دوري غولد معلومات تفيد بأن " زعيم المعارضة أيهود باراك حاول ترتيب لقاء له مع وليد المعلم لكن الأخير رفض فقرار الأسد أن لا يتحدث إلا مع حكومة منتخبة في إسرائيل " – وطلب المعلم نقل الرسالة التالية لنتنياهو " ليعلم أن هذا هو موقف سوريا " وحملت الرسالة أيضاً رغبة السوريين في وصول رجال أعمال أميركيين إلى دمشق لفتح أبواب الاقتصاد السوري في وجه الاستثمار، وأن موضوع رجال الأعمال يسهل جداً ظروف الشروع في المفاوضات بين إسرائيل وسوريا – لقد تم استيعاب الرسالة جيداً ووصل رجال الأعمال إلى دمشق ومن ضمنهم رون لاودر وبدأوا بدراسة إمكانيات القيام بصفقات وأعمال اقتصادية في سوريا ، لاودر التقى رئيس الحكومة في منزله بالقدس في ساعة متأخرة من الليل وأطلعه على نتائج زيارته لدمشق وفي أول حديث له مع الرئيس السوري قال : " لقد اهتم الأسد كثيراً باقتراحك " وكان نتنياهو مرتاحاً لهذا الرد فهذه هي المرة الأولى التي ينشأ فيها حوار مباشر بينه وبين الرئيس السوري وإن ما كان يوصف بمحاولة جامحة وربما لا أمل منها في إجراء مفاوضات شبه مباشرة بينه وبين الأسد تحول إلى واقع وحقيقة فلقد تحدث الاثنان لأسابيع طويلة عبر لاودر رجل الأعمال الأمريكي الذي يعمل اليوم رئيساً لمؤتمر الاتحادات اليهودية ويحظى بثقة نتنياهو كما كسب ثقة الرئيس الأسد أيضاً وقد نجح حيث فشل كثيرون قبله، فقد حاول قبل ذلك ميغال مواتينوس مبعوث المجموعة الأوروبية ومسؤول طاقم المفاوضات الأميركي دينيس روس ووزير خارجية عُمان والسفير البريطاني في إسرائيل وآخرون كثر وكل هذه المحاولات كانت تتوقف عند بدايتها أما لاودر فقد حطم الحواجز وتجدر الإشارة إلى أن الرئيس الأسد ولأول مرة لم يضع شروطاً مسبقة للحوار مع إسرائيل وقد ساعد في إجراء هذا الاتصال جورج نادر وهو لبناني الأصل يسكن واشنطن ويتمتع بالقدرة على الحديث مع الرئيس الأسد، وقد استطاع لاودر إجراء الحوار

مع الرئيس السوري بدون وسطاء – حتى تلك المرحلة كان السفير السوري وليد المعلم هو رجل الاتصال الوحيد مع دمشق – والمرة الأولى والأخيرة التي أجرى فيها المعلم اتصالاً مباشراً مع ممثل حكومة إسرائيل برئاسة نتنياهو كانت في واشنطن في حزيران 1996 أثناء زيارة نتنياهو لواشنطن، فقد التقى دوري غولد للتوقيع على مذكرة تفاهم نيسان ويشار إلى أن هذه الاتفاقية تبلورت في عهد بيريس وطلب من نتنياهو التوقيع عليها – أي لم يكن أمام نتنياهو في الواقع أي خيار لرفضه للتوقيع عليها قد يكون سبباً في اندلاع مواجهات كبرى في لبنان وهو في بداية رئاسته للحكومة.

التقى غولد مع المعلم برعاية روس في وزارة الخارجية فتم الإعلان عن اللقاء مما أثار غضب المعلم الذي رفض فيما بعد عقد أي لقاء مباشر مع مندوبين إسرائيليين. وقد سعى نتنياهو إلى حوار مباشر ومبكر مع الرئيس الأسد عن غير طريق المعلم وأيضاً بدون تدخل الولايات المتحدة فقد كان واضحاً بأن أي اتصال عن طريق السفير السوري يصل على الفور إلى الإدارة الأميركية مباشرة أو بواسطة وكالة المخابرات الأمريكية ، وقد قام لاودر برحلاته إلى دمشق بطائرته الخاصة وكان جورج نادر منسقاً لمواعيد الوصول كما أن لاودر كان يحط في القدس ليتلقى التوجيهات من نتنياهو ثم يتابع إلى قبرص ومنها إلى دمشق والعودة إلى القدس. وأحياناً كان يسافر من دمشق إلى القدس مرتين في اليوم وحظيت جميع لقاءات لاودر – نتنياهو بالسرية التامة وكان واضحاً لنتنياهو بأن هذه الاتصالات لن تؤدي إلى اتفاقية مع سوريا – كما كان يرغب – ولكنه كان يبذل الجهود الجبارة لأحداث انطلاقة على المسار السوري الاسرائيلي ورفض ضرورة تنفيذ الانسحابات مع الفلسطينيين وخطته تقضي بإحراز لقاء مع الأسد ومن ثم تنفيذ أحد أمرين : إجراء انتخابات مبكرة وتحقيق فوز ساحق على ضوء هذا الإنجاز السياسي أو التوجه بعد إنجاز الاتفاقية إلى

باراك مقترحاً عليه تشكيل حكومة وحدة وطنية وكان نتنياهو واثقاً من أن باراك لا يستطيع رفض توجهاته إزاء المشاركة السياسية بينهما والدخول في مفاوضات التسوية الدائمة مع الفلسطينيين حيث يكون عرفات ضعيفاً معزولاً بعد الاتفاق مع سوريا، قام لاودر بتوصيل رسالة من نتنياهو للرئيس السوري أثارت فضول الأخير وتضمنت التالي : " جدية رئيس حكومة إسرائيل في استئناف المفاوضات ورغبته في الحصول على أكثر مما كان مطروحاً على رابين وإلا لن تكون اتفاقية – ثم أن القوة السياسية التي يتمتع بها رئيس الحكومة لدى الجمهور في إسرائيل وداخل حزبه تؤهله لإنجاز الاتفاقية وأخيراً يتوجب بذل جهود مشتركة للتوصل إلى بيان مبادئ مشترك ".

اهتم الرئيس السوري بالرسالة وبدأت المفاوضات، كل شيء كان شفوياً في مفاوضات فعلية يخوضها الطرفان لإنجاز مسودات بيان مبادئ مشترك، على الجانب الآخر كانت المفاوضات مع الفلسطينيين تجري ببطء شديد عن طريق روس دون أن تعلم الولايات المتحدة بأمر القناة السرية بين نتنياهو والأسد .

وفي أعقاب سلسلة من اللقاءات في دمشق والقدس جاءت لحظة الحقيقة في رسالة الأسد الموجهة لنتنياهو عبر لاودر فقد قال له : " قل لنتنياهو بأنني أريد رؤية خريطة الانسحاب ضمن حدود الرابع من حزيران وبدون هذا لا جدوى من الاستمرار " ورفض نتنياهو – كما كانت توصيتي الواضحة له في السابق، من ناحية ثانية أراد نتنياهو الحصول على جواب سوري إزاء حجم المساحة داخل العمق السوري يبدي الأسد من خلاله موافقته على تخفيف ونزع قواته ولكنه لم يحصل على الجواب الشافي بهذا الشأن فقد رفضت سوريا عرض خرائط تحرك قواتها قبل الحصول على خريطة الانسحاب. وفي حال استئناف

المفاوضات مع سوريا ستبقى هذه النقطة مركزية وبحاجة إلى النقاش والتوضيح.

صحيح أن الاتصالات بين نتنياهو والأسد أسهمت في تليين الموقف السوري تجاه (الوديعة) أو فيما يتعلق بالتبادلية المتجانسة على جانبي الحدود ونزع وتخفيف القوات إلا أن الحاجة لا تزال قائمة لترجمة هذا كله إلى لغة الخريطة. وهكذا نجح نتنياهو حيث فشل رابين من قبله ، إذ أنه حتى اتصالات لاودر رفض السوريون أي تواجد إسرائيلي في محطات الإنذار بالجولان وعلى رأسها جبل الشيخ (عيون الدولة) والتي تشكل ذخراً استراتيجياً من الدرجة الأولى حتى في أزمنة السلام لأن أي موقع لا يمكن جيش الدفاع الإسرائيلي من مراقبة دمشق وبدون معلومات استخبارية يتم استخلاصها في جبل الشيخ لن يمكن إسرائيل من التمتع بمساحة إنذار كافية في وجه أي هجوم سوري مباغت كما أن أية اتفاقية أو عملية تطبيع على هذا المستوى أو ذاك مع سوريا لن تشكل بديلاً عن احتياجات إسرائيل الأمنية . وهذا يعني أن الجيش الإسرائيلي بحاجة إلى وقت إنذار كاف وفعال في حال أي سيناريو يقوم بسبب انهيار اتفاقية السلام وسيكون لزمن الإنذار مفعول وقيمة إذا تحقق شرطان : إبعاد الجيش السوري داخل عمق سوريا إلى ما بعد ضواحي دمشق واستمرار إسرائيل في الحصول على معلومات استخبارية إنذارية من محطات الإنذار وعلى رأسها جبل الشيخ. كان السوريون بداية يرفضون أي حديث عن محطات الإنذار ولكن ليناً طرأ على موقفهم بعد مدة فقد وافقوا في البداية على تواجد فرنسي في المحطة لمدة زمنية يتم فيها الانسحاب الإسرائيلي ثم وافقوا في نهاية الأمر على محطة فرنسية أمريكية وغض الطرف عن تواجد إسرائيلي فيها ولكن لم يتم التوصل إلى اتفاق حول المدة الزمنية التي تستطيع المحطات فيها العمل ضمن هذا الإطار مع أن التوجه القائم يحدد هذه المدة من خمس إلى عشر سنوات.

الاتصالات التاريخية بين نتنياهو والأسد استنفدت نفسها وبقي رئيس الحكومة على موقفه في التمسك بعدم الموافقة على عرض خريطة الانسحاب الإسرائيلي حتى حدود حزيران 67 – كما كنت دائماً اعزز هذه المسألة من جانبي لاعتقادي بأن هذا ثمن لا ينبغي على إسرائيل دفعه أبداً كما أن أي اتفاقية سلام مع سوريا يجب أن تقوم على المبادئ الأمنية التالية: ضمان ترتيبات أمنية تقف على رأسها مسألة إبعاد الجيش السوري بقدر كافٍ وتواجد إسرائيلي في محطات الإنذار وعلى رأسها جبل الشيخ وخطر الانسحاب الإسرائيلي من هضبة الجولان وضمان ترتيبات أمنية في لبنان – للحيلولة دون وقوع اعتداءات على إسرائيل أيا كان نوعها عبر هذه الحدود. من هنا فإن أية اتفاقية مع سوريا لا تحمل هذه المضامين تضر كثيراً بمصالح إسرائيل الأمنية والحيوية وهذا ما جعل نتنياهو يرفض إغراء التوصل إلى اتفاقية مع الأسد دونما استجابة لاحتياجات إسرائيل – وكلنا أمل في أن يواصل باراك السير على الدرب نفسه.

التعليق

تحدث داني نافيه مطولاً في هذا الفصل عن اتصـــالات واسـعة أجرتها إسرائيل والإدارة الأمريكية وروسيا – من خـــلال وزيـر خارجيتها بريماكوف – لمنع سوريا من القيام بعملية عســكرية خاطفة لاستعادة أجزاء من الجولان وفرض أمـــر واقـــع جديـد يسمح بتحريك المفاوضات السياسية ، وتناسى نافيه ما تحدثــت به كافة وسائل الإعلام ، وقبل أن يدفع بكتابه للمطبعـــة بوقـت طويل ، وهو وجود رجل استخبارات إسرائيل في موقـــع متقـدم مسؤول عن الملف السوري اعترف صراحة أنه ضلل الأجـــهزة الاستخبارية وقدم معلومات لا أساس لها من الصحة حول وجود استعدادات وهمية للجيش السوري للقيام بعملية عسكرية كبـيرة وكان هدفه ، كما تحدث صراحة ، الحصول على المـــال مقـابل هذه المعلومات "الثمينة" وربما كان من واجب نافيه ذكـــر هـذه الحادثة واستخلاص الاستنتاجات المطلوبة ، إذ كيـــف يتصـرف رجل استخبارات في موقع متقدم بمثل هذه الاستهانة بما يعتـبره مصالح بلاده ، وكيف تصدق دوائر صنع القرار في إســـرائيل ، أن سوريا بوضعها الحالي وبعد أن سكتت المدافــع علـــى كـل الجبهات العربية ، تفكر بالقيام بعمل عسكري تعرف كيف تبدأ به لكنها لن تكون قادرة على وقفه بالطريقة التي تريدها .

وفي هذا الفصل يركز نافيه على موضوع هام ، يتصـــرف إزاءه ايهود باراك بنفس الطريقة ويقول صراحة إن حكومة نتنيـــاهو كانت تريد التوصل لاتفاق مع دمشق سواء أكان اتفاقاً كـــاملاً أم إعلان مبادئ ، لعزل عرفات وإضعافه وإجباره على قبـــول بمـا يمكننا عرضه عليه ، وكان يريد الذهاب لانتخابات ميكرة وبيـــده اتفاق مبادئ مع دمشق بما يمكنه من العودة بقوة كبيرة لســـدة الرئاسة أربع سنوات أخرى ، أو يذهب لأيهود بـــاراك لتشـكيل حكومة ما يسمى بالوحدة الوطنية الشبيهة بحكومـــة العمــل –

الليكود عام 1984م والتي استمرت خمسين شهراً كاملاً في تلك الفترة .

والمفارقة أن شمعون بيرس في فترة استلامه رئاسة الحكومة بعد رحيل اسحق رابين فكّر بنفس الأسلوب وهو الحصول على اتفاق مع دمشق والذهاب لانتخابات مبكرة لكنه ذهب في نهاية المطاف لانتخابات مبكرة وليس بيده ورقة اتفاق مع سوريا أو لقاء مع رئيسها حافظ الأسد . هذه حقيقة كبرى يتجاهلها القادة الفلسطينيون وهي أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ، من العمل والليكود تريد الاستفراد بالفلسطينيين الذين يطالبون باقتسام الأرض معهم ويعيشون داخل البيت ، وهي لذلك مستعدة لإعطاء العرب أرضهم المحتلة إذا قبلوا بفك ارتباطهم مع القضية الفلسطينية وإذا تخلوا عن موقفهم التقليدي الرافض لذلك . كانت سوريا تقول طوال الوقت أن إعادة واستعادة الجولان مطروحة عليهم منذ زمن طويل ، إذا قبلوا بالتخلي عن القضية الفلسطينية .

القيادة الفلسطينية لا بد أنها تعرف كل هذه الحقائق وتعرف أن الطريق لمنع انعزالها وعزلتها ومنع الاستنفراد بها يمر عبر إعادة المياه لمجاريها مع دمشق وعبر إعادة ربط المسارات .

هل هذا الأمر مستحيل ومن هو الطرف المسؤول عن تعطيله ؟ موضوع شائك ومعقد لا يدخل في إطار التعليق على هذه الحلقات ويحتاج دراسة منفصلة ومتكاملة .

السوريون رفضوا المفاوضات السرية ، خلافاً للشائعات التي تحدثت عن وجود مثل هذه المفاوضات طوال الوقت ، في عواصم الغرب ، إذ لو كان هناك شيء من ذلك لكان سكرتير عام حكومة نتنياهو أول من يعرف به . لكن القيادة السورية أبدت رغبتها لمجيء رجال أعمال أمريكيين لدمشق لبحث إمكانات الاستثمار وقبل الرئيس الأسد أن يتحاور مطولاً ولعدد غير قليل من المرات مع رجل الأعمال اليهودي الأمريكي رون لادر الذي كان صلة الوصل مع حكومة نتنياهو ، وفي مثل هذا

الاستقبال لرجال الأعمال الأمريكيين إشارة سورية أنها تربط بين السلام القادم وبين ضرورة تدفق الاستثمارات لذلك البلد القادر على استيعاب هذه الاستثمارات بما يمكنه من إحداث نقله نوعية متميزة في الاقتصاد السوري .

والإسرائيليون حسب رواية نافيه يريدون محادثات مع دمشق دون علم واشنطن ، ولهذا أخفوا مفاوضات لاودر عن الجانب الأمريكي طوال الوقت ، لأنهم يريدون أن يأخذ ميزان القوى بين الطرفين ودون تدخل من أحد ، مداه لرسم نتائج المفاوضات ، وقد احتاط السوريون لذلك فرفضوا أية محادثات علنية في واشنطن لا تشارك بها الولايات المتحدة الأمريكية على أعلى المستويات ، وذلك ما تحقق في شبردزناون حيث شارك الرئيس بيل كلنتون مباشرة في العديد من اللقاءات في إطار تلك المفاوضات .

ورغم أن نتنياهو استخدم مع الطرفين : الفلسطيني والسوري تكتيكه الذي يقول إن أي اتفاق معه سيحظى بدعم واسع في الكنيست وفي الشارع الإسرائيلي ، لأن حزب العمل وحلفاءه سيؤيدون أي اتفاق سلام ، إلا أنه لم يتمكن من إنجاز أي تقدم على المسار السوري حين اصطدمت المفاوضات ، طبقاً لرواية داني نافيه ، بالإصرار السوري على الانسحاب حتى حدود الرابع من حزيران 1967م ، ولم يتحقق أي تقدم على المسار الفلسطيني أيضاً ، باستثناء اتفاق الخليل الذي فرضته ظروف عديدة ، واتفاق واي ريفر الذي لم ينفذ منه إلا أقل القليل وأسقط بيبي في نهاية الأمر حين انسحب من حكومته عتاة المتشددين وقرروا الذهاب لانتخابات مبكرة خرج منها نتنياهو مهزوماً وانكفأ في منزله معلناً اعتزاله السياسة ، ولو إلى حين .

القدس ونفق الأقصى

مدينة القدس عبارة عن برميل بارود - وخلال الأعوام الثلاثة الأخيرة غيرنا اتجاهاً فيما يتعلق بنظرة حكومة إسرائيل للعاصمة فقد تدفقت الاستثمارات على المدينة بشكل لا سابق له ونشاط منظمة التحرير تم تقييده بشكل كبير من خلال إغلاق مكاتبها ووقف " بيت الشرق " عن العمل كوزارة خارجية فلسطينية . أما ذروة الجدل حيال مستقبل القدس فقد نجم عن قرار الحكومة البناء في جبل أبو غنيم، كانت تلك رغبة رابين ولكنه خاف من الاقدام عليها أما بيريس فلم يرغب بذلك مطلقا وكان نتنياهو الوحيد الذي أراد ونفذ ما أراده، ففي الثامن والعشرين من شباط قررت الحكومة البناء في جبل أبو غنيم بينما كنا بين توقيع اتفاق الخليل وقرار تنفيذ الانسحاب الأول. يقع جبل أبو غنيم جنوب غرب القدس قريباً من كيبوتس رامات راحيل وعلى طول الطريق من ضاحية تلبيوت القديمة وهي منطقة جرداء لا يسكنها أحد حتى أن المزارعين العرب امتنعوا عن فلاحتها، أي أن أبو غنيم ليس مكان صراع في قلب التجمع السكاني العربي في القدس لكن البناء اليهودي هناك يخلق تواصلاً وارتباطا يهودياً هاماً عند جنوب القدس مما يمنع وصل بيت لحم وبيت ساحور العربيتين مع القدس القديمة وهكذا نشأت أزمة سريعة جراء البناء في أبو غنيم فقد تحدث الدكتور صائب عريقات خلال اجتماع طارئ فقال: " هذا بناء غير قانوني ومعارض للاتفاقيات " فأجبته بأنه مخطئ فالقدس عاصمة إسرائيل ولا يوجد في أي مكان من الاتفاقية المرحلية ما يحظر على إسرائيل البناء فيها، زيارة وزير خارجية بريطانيا روبين كوك تزامنت مع حدة الأزمة وكوك رجل أشقر حاد المزاج لم يتورع عن كيل الاتهامات لإسرائيل، وفي غياب وزير الخارجية ديفيد ليفي قرر رئيس الحكومة أن أرافق الوزير الضيف في جولته بمنطقة أبو غنيم فدعوت السفير البريطاني ديفيد مايننغ

وأخبرته بأنني سأرافق الوزير شرط عدم اجتماعه بفيصل الحسيني أو أية جهة رسمية في السلطة الفلسطينية " أي أننا لن نوافق بأي شكل من الأشكال على عمل يمثل اعترافاً بمكانة المنظمة في القدس " فوعد السفير بالالتزام بذلك، وفي يوم شتائي عاصف استقبلت الوزير البريطاني قائلاً : " ارحب بك بكل تقدير في زيارتك للقدس قلب الشعب اليهودي وعاصمة دولة إسرائيل " فسارع إلى الإجابة " وهي عاصمة فلسطين أيضاً واستدركت " لا هذه عاصمة إسرائيل فقط ونحن نقف على أرض تمثل السيادة الإسرائيلية " لم يكن كوك معنياً بسماع تفسيراتي فأدار ظهره بسرعة ودخل سيارته باحثاً عن استعراض إعلامي فسارع وخلافاً للاتفاق السابق إلى لقاء شخصيات فلسطينية في منطقة النزاع، أبلغت نتنياهو بما جرى فبعث برسالة شديدة اللهجة لرئيس الحكومة البريطاني توني بلير كما ألغى مأدبة العشاء التي كانت معدة للوزير الضيف – وهكذا كسب مستخدمو مكتب رئيس الحكومة وجبة فاخرة.

أثناء مرافقتي لرئيس الحكومة في زيارته للندن استقبلني كوك برحابة صدر وبدا وكأنه يحاول محو الصورة السيئة التي كان عليها اللقاء السابق. مضت أشهر على صدور قرار الحكومة البناء في أبو غنيم لكن الأزمة ظلت قائمة وتلقي بظلالها تارة على أئتلاف نتنياهو وتارة أخرى على المفاوضات مع الفلسطينيين وتم طرح فكرة بديلة لتحويل منطقة في جبل أبو غنيم لبناء مخصص للعرب بمشاركة مبادرين ومستثمرين فلسطينيين لكن رئيس البلدية ايهود اولمرت عارض الفكرة وانسحب من الموضوع وقال نتنياهو لروس مرة : بين القدس والإدارة الأمريكية فإنني اختار القدس " فكان جواب روس أنه والأمر كذلك فما الفائدة من عملنا، كان ذلك في خريف 1998 أثناء الاستعدادات الأخيرة لقمة واي بلانتيشن وكان نتنياهو عازماً على دفع عملية البناء في أبو غنيم حتى أنه قال للرئيس الأميركي بأنه سيطلق المجال أمام مناقصات البناء في أعقاب

التوصل إلى اتفاق حول الانسحاب الثاني - ومع أن الولايات المتحدة عارضت أعمال البناء اليهودي إلا أنها لا تستطيع الادعاء بأنها لم تكن على علم مسبق.

والتقليد المتبع في العلاقات الأمريكية يقضي بوجوب عدم مفاجأة الطرف الأول للطرف الآخر في المسائل السياسية والأمنية وكان كريستوفر أول من أرسى هذا التقليد، في لقائه الأول مع نتنياهو في القدس عقب فوزه بالانتخابات، بمعنى آخر فإن إسرائيل لم تفاجئ واشنطن بقضية أبو غنيم كما أن البيروقراطية الإسرائيلية شكلت أداة غربلة دبلوماسية في هذه المشكلة إذ كان وعد نتنياهو لكلينتون يتضمن إطالة الفترة الزمنية بين إصدار المناقصات والشروع في البناء وكانت إسرائيل أبان ذلك ملتزمة باتفاق الخليل وأوضح نتنياهو مسبقاً للإدارة الأميركية بأن مدى الانسحاب الأول لن يتخطى 2% من منطقة (ج) يتم نقلها إلى الفلسطينيين وكذلك 7,1% من منطقة (ب) إلى (أ) وذلك على ضوء رسالة كريستوفر التي تجعل قرار الانسحاب وتحديد حجمه بيد إسرائيل، لكن عرفات أظهر علامات العصبية والغضب بعدما انتهى احتفاله بدخول الخليل فقد اتصل بي عريقات هاتفياً ليقول بأن الفلسطينيين يرفضون الانسحاب بحجم 2% وكرر المطالبة باستئناف التفاوض إزاء حجم الانسحاب فذكرته برسالة كريستوفر وأضفت " بأنه في أعقاب قرار الحكومة سيتحدث معكم ضباطنا بشأن تطبيق هذا القرار" ولكن الولايات المتحدة وسعياً منها لتطمين الفلسطينيين أصدرت بياناً جاء فيه أنها تأمل في أن تقوم إسرائيل بما هو أكثر من ذلك في الانسحاب الثاني والثالث. وفي هذه الأثناء لم يكن ديفيد ليفي على علم بأن وزير المالية دان مريدور بدأ اتصالات سرية من وراء ظهره مع مارتن انديك توصل فيها إلى أن تعبير الأمل الأميركي لا يلزم إسرائيل بأية صيغة أو نسبة خلال عمليات الانسحاب القادمة، وهذا ما ابلغ به نتنياهو لكن رفض الفلسطينيين للقرار أوقف عملية الانسحاب الأول ولم تجد

اتصالات مريدور وانديك نفعاً وبعد أقل من عام اندلعت أزمة حادة بين إسرائيل والولايات المتحدة على خلفية الجدل حول حجم الانسحاب الثاني – وكانت تلك هي آخر أيام العلاقة الحسنة بين مريدور ونتنياهو إذ استقال مريدور بعد ثلاثة أشهر من الحكومة جراء مواجهة شديدة بين الاثنين فيما يتعلق بالانحراف عن السياسة التقليدية، لكن الرواسب بينهما في الحقيقة أعمق بكثير من هذا فقد كان مريدور مقرباً من بيغن وشامير وليس كذلك بالنسبة لنتنياهو فالشكوك العميقة في علاقتهما أدت إلى صراع عنيف على القوة فبينما كان بيغن وشامير يوفدان ميردور في مهمات سياسية حساسة. لم يفكر نتنياهو بذلك مطلقاً ولم يكن مريدور من جانبه براضٍ عن انتخاب نتنياهو لزعامة الليكود ونتنياهو من جانبه كان يشك في أن مريدور يتآمر عليه ويشهر به لدى الصحفيين الكبار ومدير ديوان رئيس الحكومة افيغدور ليبرمان كان العدو الأكبر لمريدور، وكمراقب من الخارج كان واضحاً لي أن الانفجار سيحدث قريباً لكن نتنياهو اعترف لي ذات مرة بأنه أخطأ بدفع مريدور إلى الزاوية ودفعه إلى الاستقالة ووافقته الرأي لأن نتنياهو بذلك العمل لم يفقد شخصاً بإمكانه تقديم الكثير للحكومة فقط بل سارع في وضع نهاية لحكومته ولفشله في انتخابات 1999 وحاول نتنياهو إعادة مريدور بعرض وزارة الخارجية عليه قبل تعيين شارون للمنصب فرفض مريدور العرض بحكم أن الانفصال بينهما كان نهائياً. وان شومرون بعد إنجاز اتفاق الخليل أراد العودة إلى أعماله السابقة فقد سئم دائرة الصراعات والمعارك الداخلية ضد ضباط الجيش ووزارتي الخارجية والدفاع، عندها أدرك نتنياهو بأنه لا مجال للبحث عن " نجوم " من الخارج فأسند لي رئاسة لجنة توجيه المفاوضات مع الفلسطينيين وكان صائب عريقات يترأس الجانب الفلسطيني وحتى تلك اللحظة كنت شريكاً أساسيا في المفاوضات وفي تفكير نتنياهو السياسي ولكنني هذه المرة أواجه التحدي الأكبر في حياتي منذ التحاقي بحركة " حيروت "

والمعهد الديني (نشيف مثير) في القدس وكان عمـــري آنـــذاك سبعة عشر عاماً، التحقت بالحركة قبل كل شيء من أجـل أرض إسرائيل، وعندما كنت تلميذاً في السنة الخامســـة عـــام **1975** هددوني بالطرد من المعهد الديني لأنني هربـــت مـــع التلاميـــذ أسبوعاً في منطقة سبسطيا في (منطقة نابلس - السامرة) حيث كانت حركة " غوش ايموينم " تقوم بتنفيذ أول عملية اســـتيطان لها وعندما شاهدت رابين وبيريس يوقعان إعلان المبادئ مـــع عرفات في واشنطن كان ذلك بالنسبة لي يوماً أسود فحلـم أرض إسرائيل تلقى صدمة كبيرة ولطالما خشيت مـــن أن يـــأتي يـــوم وتسلم فيه حكومة إسرائيل أجزاء من الضفة الغربيـــة للعـــرب، وها هو يحدث - لقد عارضت الاتفاقية بكل حزم واعتبرتها خطـأ سياسياً استراتيجياً من الدرجة الأولى إذ أن إحضار المنظمة مـــن تونس إلى هنا والاعتراف بها وعملية تســـليم المنـــاطق إليـــها عبارة عن عملية سياسية تحمل فـــي طياتـــها أخطـــاراً كبـــيرة لإسرائيل على المدى البعيد - كما أن الاتفاقية تعبير عن الضعف والتراجع في المواجهة التي بلغت ذروتها خلال أعوام الانتفاضـــة الدامية، لقد انتصر عرفات وخسرت إسرائيل وتلقت الصهيونيـــة الضربة القاسية منذ بداية الصراع العربي اليهودي - لقد آمنـــت ولازلت أؤمن بأن السيطرة على الضفة الغربية أمر حيوي لأمـــن ووجود إسرائيل على مدى السنين والســـيطرة العربيـــة عليـــها والعودة إلى حدود عـــــام **1967** معناه إمكانية إعادة إسرائيل إلى " حدود آوشفيش" (إشارة لمعسكر النازيين الذي أبادوا فيـــه اليهود) والذي تحدث عنها ذات يوم أبا ايبان ، إنه لمن الخطـــأ الجسيم النظر إلى الاتفاق مع المنظمة علـــى ضـــوء الســـنوات القليلة القادمة ذلك أن الاتفاق يضمن الهدوء على المدى القصير ولكنه قد يبذر بذور الفوضى على المدى البعيد لذلك فإن واجبنـــا لا يقتصر على منع اندلاع حرب في أيامنا بل ضمان ذلك لأولادنـــا - كم أتمنى بأن أكون مخطئاً لكن المخاوف التي تســـاورني إزاء ما هو متوقع من مواجهة مع العرب بعد اوسلو - كبيرة جـــداً ،

وأمام هذا كله كان علي اتخاذ قرار بشأن المهمة الموكلة إلـــيّ، وكان الرفض هو الجواب الأسهل - لكنني وافقت مدركـــاً لأمـــر واحد وهو أن غيري سيقوم بالمهمة إذا أنا رفضـــت وربمـــا لا يكون هذا الآخر ملتزماً بالمفهوم الوطني القومـــي وحـــب أرض إسرائيل مثلي وربما أيضاً أنني وصلت إلى هذا المنصب من أجل هذه المهمات. قررت قبول المهمة مع علمي بأنها صعبة غـــير أنني لم أكن على علم بأنها قاسية ومعقدة إلـــى هـــذه الدرجـــة، وكجزء من الاتفاق بين ليفي ونتنياهو حول المفاوضات تم تعيين يعقوب برودغو إلى جانبي في رئاسة لجنة التوجيه وبرودغـــو الرجل الموثوق لدى ليفي بدا لي شخصاً كفوءا وحاداً وقد سـاهم معي كثيراً في التنسيق والتعاون مع الوزير ليفي وعندما استقال ليفي استقال برودغو هو الآخر ولم يعد يعمل معي - لقد عملنـــا طيلة فترة المفاوضات كطاقم واحد شارك فيه المحامي مولخـــو وسكرتير رئيس الحكومة العسكري شمعون شـــبيرا ومســـؤول القسم السياسي في الشاباك - ولأنه لا يزال علـــى رأس عملـــه فهذا سبب لعدم ذكر اسمه - ولقد زودنـــي مـــراراً بمعلومـــات استخبارية حساسة وهامة في ذروة المفاوضات السياسية فقـــد كنت أعلم عن الفلسطينيين أكثر مما فكروا أو توقعوا وهذا مـــا أتاح لي إجراء مفاوضات ناجحة وذكية وســـاعدني فـــي فـــهم وقراءة أفكار ونوايا وأهداف عرفات ورجالـــه بشـــكل أكـــبر - فالحيلة تجعلك تفاوض جيداً - انضم إلى طاقمنا المفاوض شريك آخر هو العقيد دانييل رايزيز - مسؤول قسم القانون الدولي فـــي النيابة العسكرية وهو أكثر الأشخاص قدرة على معرفـــة خبايـــا وحيثيات الاتفاقيات مع الفلسطينيين كما أنه رجل لامع قادر على كسب ثقة الفلسطينيين كان قد ساهم في إنجاز اتفاقيتي الخليـــل وواي.

وفي آذار عام 1997 بدأنا العمل على تركيز المفاوضـــات مع الفلسطينيين لكن أحداثاً دموية جرت في ذلك الشـــهر بـــدأت بإطلاق جندي أردني النار على سبع تلميذات إسرائيليات كن فـــي

رحلة مدرسية في منطقة نهارايم داخل الأراضي الأردنية وبعد ذلك بأسبوع انفجرت عبوة ناسفة في مقهى اجروبو بتل أبيت مما أدى إلى مقتل ثلاث نساء وهكذا بدأت عملي مسؤولاً لطاقم المفاوضات في ظل حوادث عنف إضافة إلى مضي ثلاثة اشهر على القطيعة والأزمة الحادة بيننا وبين الفلسطينيين جراء أزمة أبو غنيم ورفض الفلسطينيين تطبيق الانسحاب الأول بنسبة 2% مما دفع مصر إلى القيام بوساطة فوصل أسامة الباز في الثاني عشر من حزيران 1997 للالتقاء برئيس الحكومة نتنياهو مقترحاً إجراء محادثات سرية بين الطرفين بواسطة لجنتين الأولى في مجال فتح مطار غزة والثانية في المسائل الأمنية وكان الجمود في العلاقات بين الإسرائيليين والفلسطينيين مسيطراً بالكامل فالفلسطينيون يحتجون على قرار البناء في أبو غنيم ويرفضون استئناف المفاوضات ويوقفون التعاون الأمني وحاول الباز ترتيب لقاء سري بين نتنياهو وعرفات قد يؤدي في اعتقاده إلى بدء محادثات سرية بين الإسرائيليين والفلسطينيين بشأن الوضع الدائم فاستجاب نتنياهو ورفض عرفات معلناً أنه دون وقف البناء في أبو غنيم لن يكون هناك تقدم ولم ييأس الباز وحاول مرة أخرى ولكنه فشل وظلت الأزمة قائمة.

وحاول روس أيضاً حث عرفات على إعادة التعاون الأمني مقترحاً إجراء مفاوضات التسوية الدائمة مع التسوية المرحلية إلى جانب منع مصادرة هويات سكان القدس العرب وعدم نشوء حقائق ميدانية جديدة ولم يتأخر نتنياهو في الرد بأن عرفات لم ينفذ وعوده السابقة في المجال الأمني واقترح علي أبو مازن عدة مطالب بما فيها وقف البناء في أبو غنيم وهو ما رفضه نتنياهو قائلاً: " إنه شأن مبدئي " . وبعد دعوة عشاء على شرف الطاقم الأميركي في منزل دوري غولد ناقشت أنا ولاودير مسألة توازن الأصل القومي لرجال الإدارة الأميركية، روس، ميلر، شفارش، انيديك، بيرغر كلهم يهود وعندما استلمت مادلين اولبرايت وزارة الخارجية الأميركية أخرجت الصحافة الأميركية

يهوديتها من الخزانة وخلصنا إلى القول بأنه يخيب ظن من يعتقد بأن يهودية مسؤولي الإدارة الأميركية تجعلهم يقفون بشكل قطعي إلى جانب إسرائيل فقد حافظوا على ولائهم للإدارة الأميركية وسياساتها، مرة قال لي روس " إنه فخور بكونه مسؤولاً كبيراً في وزارة الخارجية الأميركية فقد كان محظوراً على اليهود في زمن مضى الوصول إلى مناصب رفيعة " واذكر أنني قبل أيام من قمة واي طلبت الحديث مع روس بناء على طلب نتنياهو في أعقاب مشاورات عاجلة دعاني إليها فأجل روس الحديث معي إلى ما بعد انتهائه من الحديث مع حاخامه في الكنيس، شعرت بكثير من القرب تجاه روس الذي يحافظ على نشأته الدينية لكن هذا أيضاً لم يمنع من وقوع خلافات وأزمات قاسية بيننا وبين الطاقم الأميركي كما حدث في صيف 1997 حين قرر الرئيس كلينتون إيفاد روس سراً للقاء نتنياهو – وهو أمر لم يعلم به أحد حتى كتابة هذه السطور، وكانت مهمة روس غير عادية تفصح عن خشية كلينتون من انهيار العملية السلمية برمتها بما ينعكس على دولة إسرائيل في تداعيات مدمرة مؤكداً بأنه يرسل روس بكامل السرية للتعبير عن مدى أهمية هذه الخطوة قائلاً بأننا نقف عند نقطة خطيرة وأنه في انتظار تقرير روس حول المهمة. وحمل روس وثيقة المقترحات الأمريكية وكان اللقاء في إحدى المنشآت الأمنية مما أضفى شعوراً فريداً من نوعه وكان التوتر شديداً بحيث لم تجد محاولاتي نفعاً في تخفيف حدة التوتر فقد سألت روس ورفاقه أين تنامون الليلة؟ فأجابني لا نستطيع النوم في فندق كي لا يتعرف علينا أحد سنضطر للنوم على فرشه في منزل السفير بهرتسليا. وكانت المقترحات الأمريكية كالتالي: تجميد البناء في أبو غنيم إلى أن تصل الأحياء العربية القريبة من أبو غنيم في صور باهر إلى مستوى متطور مشابه للأحياء اليهودية، استئناف التعاون الأمني ووقف العنف والبدء بمفاوضات التسوية الدائمة ووقف مصادرة الأراضي أثناء المفاوضات وتحديد البناء

في المستوطنات واقتصاره على داخل المستوطنات دون التوسع خارج حدودها الحالية وأمور أخرى. في الوقت نفسه لم تكن المطالب الأميركية الموجهة للفلسطينيين مميزة وواضحة كما هي للإسرائيليين وكان جواب نتنياهو رفض المقترحات الأمريكية بالصيغة التي وردت فيها وتم إيفادي إلى واشنطن في الثاني والعشرين من تموز لاستئناف المحادثات مع روس ولم يكن أحد يعلم بأن زيارتي هذه كانت مبنية على مبادرة كلينتون السرية السابقة. ركزت في حديثي مع الأمريكيين على أن المبادرة الأميركية ليست متكافئة " وأننا مطالبون بأمور ليست واردة في الاتفاقية المرحلية بينما لا يتم توجيه مطالب للفلسطينيين وإنما مجرد تكرار لوعود سابقة لم يفوا بها كما أننا نرفض صيغة عدم توسيع المستوطنات " هذه النقطة كانت سبب الأزمة العنيفة وكان جواب روس الحاسم : " هناك إمكانيتان أمام الرئيس إما القول بأن الولايات المتحدة ترفع يدها عن المفاوضات وإما إصدار بيان علني عن المبادرة والقول بأنها مطلوبة وضرورية حسب اعتقاده " من هنا فإن رفض مبادرة الرئيس من جانب إسرائيل لا يعني فقط عدم إعادة المفاوضات إلى مسارها وإنما يؤدي إلى مواجهة علنية بين حكومة إسرائيل والإدارة الأميركية وهذا بالطبع لا يخدم مصلحة الرئيس كلينتون، وقلت لروس " اعتقد بأنكم إذا فكرتم ملياً فستتوصلون إلى استنتاج مفاده بأن خروجكم بمبادرة ليست مقبولة لدينا يعد خطأ فادحاً " وكان قرار كلينتون بعد وصول الرسالة إليه الامتناع عن المواجهة مع نتنياهو أما الشخص الذي لم يتوقف عن تأزيم الأوضاع فهو عرفات فقد كشفت أجهزة استخبارات جيش الدفاع بأن عرفات قد أعطى الضوء الأخضر" لحماس للقيام بعمليات عسكرية لكنه لم يصادق على تنفيذ عمليات معينة أو تحديد المكان والزمان وإنما أعطى انطباعاً لدى لقائه بقادة حماس إنه بإمكانهم تنفيذ عمليات عسكرية فكان هذا الضوء الأخضر لعملية سوق (محانيه يهودا) في قلب القدس في الثلاثين من تموز

والتي أودت بحياة أربعة عشر شخصاً وجرحت مائة 1997
وستين آخرين . كان الثمن باهظاً ومريعاً فقرر رئيس الحكومة
عدم الوقوف مكتوف اليدين وعقد جلسة طارئة للمجلس
الوزاري وضمن إجراء غير عادي أصدرت كسكرتير للحكومة
بياناً بشأن قرارات المجلس والتي تعتبر سرية بشكل عام وقد
تركز الحوار حول قرار بالمبادرة إلى تنفيذ عمليات ضد الإرهاب
وتنظيماته – ولم يعلم أحد في حينه بأن الإشارة قد انطلقت
لاغتيال خالد مشعل في عمان– ولأول مرة أيضاً قررت الحكومة
تجميد أموال الدعم للسلطة وصدر أمر اعتقال ضد غازي الجبالي
– لا يزال ساري المفعول حتى اليوم – كما تقدمنا بمطالب
للسلطة الفلسطينية تخص مكافحة الإرهاب إضافة إلى طلب
الالتزام (بسجل الملف) المرافق لاتفاق الخليل – والتي امتنع
الفلسطينيون عن تنفيذها عن تخطيط مسبق كانت جلسة
الحكومة عاصفة مما اضطر نتنياهو إلى التصدي لمقترحات
بعض الوزراء باقتحام بيت الشرق في تلك الليلة وتنفيذ عمليات
هجومية فورية داخل المنطقة (أ) التابعة للسلطة. سارعت بعد
الجلسة أنا ومولخو للاتصال بروس ونقلنا له وثيقة أمنية
تتضمن تسعة بنود تطالب إسرائيل السلطة الفلسطينية بتنفيذها
وقد شكلت هذه الوثيقة بعد عدة أشهر بنية أولية لاتفاق أمني
تبلور أثناء مناقشات واي كما وجهت وزيرة الخارجية الأميركية
اللوم الشديد والمباشر لعرفات على صعيد مكافحة الإرهاب ثم
التقى روس بعرفات بمشاركة مسؤول الشاباك عامي ايلون
والمحامي مولخو – على خلفية عملية القدس والتقديرات القائلة
بأن عرفات لا يعمل بما يكفي لوقف هذه العمليات وكان مولخو
قد توجه لعرفات بالقول : " لقد توصل المجلس الوزاري إلى
استنتاج بان هناك سلسلة من الإجراءات الواجب اتخاذها لمنع
الاعتداءات فإذا لم ير المجلس نتائج ميدانية في ذلك فلن تكون
هناك إمكانية لحصول أي تقدم " أصغى عرفات للرسالة وتحدث
فقط عن معاناة الفلسطينيين وكان من الضروري ممارسة ضغوط

أخرى على عرفات للتوضيح بأن سياسة الحكومة مختلفة هـذه المرة وهي لا تقبل إلا بمكافحة حقيقية وبدأ مولخو اتصالاته عبر جميع القنوات الفلسطينية للتحرك على هذا الصعيد. وطلبت من أسامة الباز الضغط على الفلسطينيين للقيام بخطوات جادة حيال هذا الأمر وكان مردخاي هـو الآخر يبذل جهوده لإطلاع الفلسطينيين على خطورة الأوضاع أما الجواب المصري فقد نقله لي الباز والمتمثل برسالة من مبارك إلى عرفات ولقاء سيتم بينهما في القاهرة في الرابع والعشرين من آب لعرض مسائل واقعية كالتعاون الأمني الكامل مع إسرائيل في جميع المجالات بما فيها اعتقال منفذي العمليات وكذلك الإعراب عن قلق مصر من لقاءات عرفات بقادة حماس والجهاد الإسلامي، وفي صبيحة اليوم التالي نقل لي السفير محمد بسيوني الجهود المصرية المكثفة في هذا السياق مما يدل على أن مصر أخذت على محمل الجد طلب إسرائيل المقدم إليها لممارسة نفوذها على الفلسطينيين إزاء كل ما يتعلق بمجالات الإرهاب والسفير المصري الذي يعمل في البلاد منذ سنين طويلة ويتكلم العبرية تحول إلى جزء من التكوين الإسرائيلي وهو ضيف دائم في مكتبي ولبسيوني علاقات ممتازة مع رجالات السلطة الفلسطينية وعلى رأسهم أبو مازن كما أنه استضاف مراراً لقاءات سرية إسرائيلية فلسطينية في منزله الفاخر بهرتسليا، وقد أثمر الضغط الإسرائيلي على الفلسطينيين جزئياً فبدأوا باعتقال المطلوبين حسب قائمة الشاباك لكن عرفات حتى تلك اللحظة لم يقم بالعمل الرئيسي وهو ضرب البنية التحتية لتنظيمات حماس والجهاد الإسلامي وقد حملت بشدة على عرفات في هذا الأمر ضمن برنامج تليفزيوني وسرعان ما جاءني منه الجواب بالقول: " ما الذي يريده داني نافيه مني، نحن نعمل أقصى ما نملك في مجال مكافحة الإرهاب " ومرة أخرى أجبت على سؤال للإذاعة الإسرائيلية حول ما إذا كان عرفات يعتقل إرهابيين بالقول " طبعاً يعتقلهم لكنه يفعل ذلك على طريقة الباب الدوار" أي يدخلون من

جهة ويخرجون من الجهة الأخرى، ولأول مرة أدخلت مفهوماً تحول إلى عنصر أساسي في المفاوضات مع الفلسطينيين تبنته أولبرايت في خطاب لها ، كان الفلسطينيون دائماً يقولون لنا " جميعهم داخل السجن " لكن معطيات الشباك تقول عكس ذلك فاطلاق سراح (مخربين ؟) وعدم تقديم قتلة للمحاكمة تحولت إلى سياسة ومسؤول جهاز الأمن الفلسطيني محمد دحلان شوح لي في إحدى المناسبات سياسته في اعتقال رجال حماس المطلوبين وتجنيدهم في جهازه الأمني بالأجرة فيحولهم بذلك إلى عملاء له، فقلت له بأن الأمر يشبه المجيء بقاتل جنائي وتجنيده للشرطة للحيلولة دون وقوع حوادث قتل، هذا أسلوب مرفوض أخلاقياً وموضوعياً، من جانب آخر فإن سياسة الباب الدوار لا تزال قائمة وان ما يفعله الفلسطينيون أحياناً هو التقليل والتخفيف من دوران الباب عندما يحاولون استرضاء واشنطن ويزداد دوران الباب عندما تقل الضغوط وعرفات يمسك بالمعارضة الحماسية كخيار مفتوح للتعاون المشترك ويبدو بأنه لن يقضي بشكل مطلق على الحركة الإسلامية المتطرفة ، من هنا فإن الوسيلة الوحيدة لمواجهة هذه الظاهرة هي الضغط باستمرار وهذا ما أدركته الإدارة الأميركية أيضاً وحاولت التعامل به مع الفلسطينيين ولكنهم أي الفلسطينيين لا يلتزمون مثلما حدث مع " الفيتو الأميركي " على عدم إطلاق سراح الفلسطينيين لسجناء دون مصادقة المخابرات المركزية الأميركية وقد طرحنا ذلك في واي ووافق الفلسطينيون ولكنهم رفضوا كتابة الأمر بوضوح ضمن الاتفاقية كما وضعنا شرطاً أثناء محادثات واي يوجب اعتقال أكثر من مائة مطلوب في قائمة وصلت للفلسطينيين عن طريق الأمريكيين ولا يزال الباب يدور. عاد الأمريكيون لتنشيط مبادرتهم فطلبوا مجيئي مع المحامي مولخو لاستئناف الاتصالات مع الإدارة الأميركية وكنت أقوم بزيارات عديدة لا يستغرق بعضها أربعاً وعشرين أو ثماني وأربعين ساعة فقط حتى أن زوجتي قالت بأن معدل سفري فاق معدلات

سفرها حين كانت تعمل مضيفة في شركة العال. وكان علي بذل جهود جبارة لتسوية الخلافات بيننا وبين كلينتون وجسر الهوات مع الفلسطينيين وكان الجهد الرئيسي من قبل إسرائيل والإدارة الأمريكية يقضي بتحريك عرفات للإرتقاء خطوة في مجال مكافحة الإرهاب . وبتاريخ 1997/9/4 حدثت عملية شارع بن يهودا في القدس فاقترح نتنياهو مبادرة سياسية جديدة للبدء بمفاوضات سريعة حول التسوية الدائمة وعلى أثر ذلك توجهت أنا ومولخو الى القاهرة للقاء الباز في مهمة سرية لطرح فكرة رئيس الحكومة، وحدثنا الباز عن لقائه بعرفات قبل يوم من لقائنا قائلاً بأن عرفات يعتقد بأن طرح فكرة الدخول مباشرة في مفاوضات التسوية النهائية مجرد خدعة كما أنه " يقول انه لم يعد يعرف ما تعنيه مسألة مكافحة بنية الإرهاب " أطلعت روس على نتائج لقائي بالباز ليخبرني بأن الولايات المتحدة ستبلور خطة مع عرفات لمكافحة بنية الإرهاب ووصلت اولبرايت في زيارة إلى إسرائيل لتصب الماء البارد على مبادرة نتنياهو إذ قالت أنه لا يمكن تجاهل المرحلة الإنتقالية والدخول في مفاوضات الحل النهائي وأفادت معلوماتنا الاستخبارية بأن الاعتقالات التي قام بها عرفات ما هي إلا خطوة سياسية لزيارة اولبرايت وفشلت اولبرايت في محادثاتها مع نتنياهو وعرفات في جهودها لدفع العملية إلى أمام معلنة وجود أزمة ثقة هامة بين الطرفين وداعية وزير الخارجية ديفيد ليفي وأبو مازن للقائها في واشنطن في الثامن والعشرين من أيلول 1998 وفي إطار تحركات روس تم استئناف المفاوضات المرحلية بعد تصف عام من الجمود وبقيت إسرائيل على إصرارها في حق البناء في القدس ومكافحة الفلسطينيين للإرهاب . وقد عدنا إلى القدس لإستئناف المحادثات المتعلقة بمطار غزة (الدهنية) والممر الآمن والنقطة الصناعية في كارني أما مسألة تنفيذ الإنسحاب الثاني والثالث فقد بقيت نقطة خلاف رئيسية . فيما بعد انسحب ليفي من الحكومة على خلفية مناقشات ميزانية الدولة فوقع العبء

الأساسي في المفاوضات على كاهلي والى جانبي المحامي مولخو، واستمر كلينتون على موقفه في عدم مواجهة نتنياهو علناً لكنه لم يمنح مبادرته القدرة على الحياة غير أن هذه المبادرة استمرت في مركز الأمور والاتصالات السياسية حتى إنجاز اتفاق واي في تشرين أول 1998 وظلت عناصر المبادرة سرية طيلة فترة حكم نتنياهو باستثناء وزراء (المطبخ الصغير) وكان خوف نتنياهو الأكبر هو تسرب هذه العناصر مما يعني نشوء أزمة ائتلافية واستمر الأمريكيون في ضغوطهم على رئيس الحكومة لعدم استئناف البناء في جبل أبو غنيم ووزارة الإسكان الإسرائيلية أرجأت مناقصات البناء وسكتت الجرافات في المنطقة ودفعت إسرائيل غرامة دولية باهظة جراء إعلانها عن المشروع ولو تواصل البناء لوفرنا هذا كله ، وعلى كل حان فإن "المهلة الزمنية" الواردة في المبادرة الأمريكية كنا قد رفضناها إلى جانب رفضنا لمنع تطوير المستوطنات القائمة ، وقد بقي أمر المستوطنات يلقي بظلال واجمة على العلاقات بين حكومة إسرائيل والإدارة الأمريكية إذ كانت الأخيرة ترصد التحركات وتراقب بواسطة الأقمار الصناعية النشاط الاستيطاني فقد قامت أزمة بين الطرفين في أعقاب تصريحات نتنياهو في مستوطنة أفرات في منطقة غوش عتسيون حين أعلن البناء في " غفعات هزاييت" وهي منطقة متواصلة بضواحي أفرات كجزء من التطور الطبيعي للمستوطنة ، ولم تنفع التفسيرات التي بعثنا بها للإدارة الأمريكية للتخفيف من الأزمة وكان اللقاء بين انديك ونتنياهو عاصفاً – ليس بسبب الموضوع فقط وإنما لحساسيات سابقة فقد كان نتنياهو يعتقد أن أنيديك كان يحفز الرئيس كلينتون على دعم بيريس في انتخابات عام 1996 وجدير بالذكر أن أمر الإستيطان والبناء كان دائماً أساس الخلافات القاسية بين الإدارة الأمريكية وإسرائيل وقد حدث بين بوش وشامير عام 1992 أن تدهورت العلاقات لنفس السبب مما جعلني أشير على نتنياهو طيلة فترة عملي بضرورة التوصل إلى اتفاق مع الإدارة

الأمريكية بشأن المستوطنات ولهذا السبب حرصت دائمـــاً علـــى تسجيل الأحاديث التي جرت بين نتنياهو وممثل الإدارة الأمريكية بشأن البناء في الضفة الغربية . فيما بعد انتهى التهديد الأمريكي لنتنياهو بشأن المستوطنات بصوت خافت لكن أزمة أخرى نشبت في أعقاب تقرير تلقته الإدارة الأمريكية عن بناء مائتي وحــــدة سكنية في كريات أربع وكان جواب نتنياهو لأولبرايت "ليس لدينا مشروع بناء جديد ولكننا مستمرون فـــي التوســـعة الطبيعيـــة للمستوطنات القائمة كما أنني لم أعد بموافاتكم بمعلومات عن كل بناء، نحن لا ننحرف عما قلنـــاه كمـــا أنـــه لا يعقـــل أن يقفـــز الفلسطينيون في كل مرة يرتفع فيها بناء منزل".

التعليق

في هذا الفصل ، يقدم داني نافيه معلومات هامة، أرجو أن تطلع عليها قوى المعارضة الفلسطينية قبل غيرها، حول عناد الرئيس عرفات في مواجهته للمطالب الإسرائيلية وفي رفضه لاقتراحات أمريكية ومصرية عديدة خلافاً للإشاعات والمواقف المسبقة التي تتحدث في كل بيان وخطاب ومؤتمر عن الإذعان والإملاءات . صحيح أن الرئيس الفلسطيني لا يصمد حتى النهاية لأنه لا يمتلك المقومات المطلوبة لذلك ولكن كافة الكتب والمذكرات المنشورة باللغة العبرية من قادة صنعوا الأحداث والقرارات تؤكد في غالبيتها أن المستشارين والمفاوضين الفلسطينيين هم أكثر استعداداً للمرونة والمساومة من ياسر عرفات، وهذا هو انطباعي الشخصي من خلال المتابعة والمعرفة المباشرة قبل أن أطلع على مذكرات داني نافيه وأسراره العلنية.

كما أرجو أن تطلع قوى المعارضة الفلسطينية والعربية على هذه المذكرات التي توضح أن السلطة كانت غير جادة في اعتقال القوائم المطلوبة من قادة حماس والجهاد الإسلامي وأنها كانت (وربما مازالت) تستخدم ما يعرف بالباب الدوار أي إدخال المعتقل من الباب ثم إطلاق سراحه من خلال حركة الباب الدوار، ربما يقول قائل إن حكومة نتنياهو بالغت في الأمر لحث السلطة على إعتقالات متواصلة لكوادر حماس والجهاد وفي ذلك بعض الصحة السياسية ، لكن داني نافيه يكتب اليوم بعد خروجه من السلطة، وبعد صعود حكومة حزب العمل، وربما كانت الحسابات الفئوية والحزبية تتطلب من نافي الافتخار بأن حكومته أجبرت السلطة الفلسطينية على أوسع اعتقالات لقادة حماس وأجبرتها على ضرب البنية التحتية للحركة الإسلامية، لكنه يعترف بأن حكومته : حكومة نتنياهو قد فشلت في كسر عناد عرفات وفي دفعه لإعتقالات – غير موسمية – لكوادر التيار الإسلامي.

وداني نافيه يتحدث في أمر أكثر أهمية وهو أن حكومة بيبي ورجالات الاستخبارات علموا أن عرفات قد أوصى لقادة حماس والجهاد الإسلامي بأنه سيغض الطرف عن عملياتهم العسكرية وقد فهموا الرسالة وقاموا بعلمية القدس. وعمليات أخرى. لا يوجد إثبات لهذه الادعاءات وحركة حماس لا تتصرف بناء على حسابات قادة السلطة الوطنية، ولكنهم ربما تصوروا أن الجمود في المسيرة السياسية والتعامل الفوقي لحكومة نتنياهو مع القادة الفلسطينيين قد يعني غض الطرف عن عملياتهم العسكرية. لكن ما عشناه مباشرة وحضرنا جلساته هو الحوارات الوطنية في نابلس ورام الله والتي شاركت فيها حركة الجهاد الإسلامي وقادة إسلاميون قريبون من حماس وقد احتجت حكومة نتنياهو على تلك الحوارات ولكنها كانت رسالة لحكومة الليكود بأن لدى عرفات خيارات عديدة: إذا انهارت محادثات السلام وذلك ما دعا الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، طبقاً لرواية داني نافيه، أن يرسل دينس روس سراً للقاء نتنياهو ليشرح له مخاطر الجمود في العملية السياسية واحتمالات العنف التي تلوح في الأفق. أوصل ياسر عرفات إذن الأمور إلى حافة الهاوية وهي السياسة التي يرع بها القائد الفلسطيني الأول ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية في فترة وجود المنظمة خارج الوطن وفي تعاملاته العربية والدولية، ورغم صعوبة ممارسة ذات السياسة : سياسة حافة الهاوية وسياسة قلب الطاولة وخربطة الأوراق في مرحلة ما بعد أوسلو، إلا أن عرفات جرب هذه السياسة في التعامل مع الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وقد نجح في بعض الحالات ولم يحالفه النجاح في حالات أخرى.

وفي هذا الفصل العديد من القضايا لكنني أود التعليق المركز على عدد من هذه القضايا:

- داني نافيه الذي تربى منذ ولادته على أن الضفة الغربية جزء من أرض إسرائيل : أرض الأباء والأجداد وجد نفسه في وضع عليه أن يقبل أو يرفض رئاسة الجانب الإسرائيلي

للمفاوضات مع الفلسطينيين والتي تعني قيادته للتنازل عن أجزاء من أرض إسرائيل المزعومة. ماذا يفعل: قرر قبول التحدي حتى لا يأتي مسؤول غيره ويقدم تنازلات أوسع عن الأرض. منطق سياسي أرجو أن يتمعن فيه أصحاب المواقف العدمية والرفضية في بلادنا. بموجب منطقهم كان على نافي أن يرفض المهمة، لأنه يعادي مبدئياً التنازل عن شبر واحد من الأرض، لكن العقل السياسي الواقعي والديناميكي دفع به لموقف مختلف: قبول المهمة حتى لا يقوم بها شخص آخر ويقدم تنازلات أوسع : درس في علم السياسة الواقعية يجدر بنا أن نتأمله. وفي هذا الفصل يكرر داني نافيه موقف اليمين التشدد الذي يرفض ثمن السلام. فهو يعتقد أن الانسحاب نحو حدود الرابع من حزيران هو عودة لحدود اوشفيتس. أي عودة لحدود ستؤدي لكارثة ضد الشعب الإسرائيلي تشابه ما حدث لليهود من إبادة على يد النازيين في معسكر اوشفيتس. وهو منطق غريب فإسرائيل دولة نووية تملك وحدها الخيار النووي من طرف واحد، وتمتلك قوة عسكرية متفوقة على جميع الدول العربية مجتمعة وواشنطن ملتزمة علانية بالحفاظ على هذا التفوق النوعي ، فكيف سيؤدي الإنسحاب حتى حدود الرابع من حزيران لكارثة ضد الإسرائيليين وأي منطقة في الشعار اليميني بأن الإنسحاب من نابلس اليوم سيعني الإنسحاب من تل أبيب غداً .

أعتقد أن العكس هو الصحيح فالانسحاب الإسرائيلي الشامل حتى حدود الرابع من حزيران ثمناً لسلام عادل ووطيد مع العرب هو الذي يحمي الإسرائيليين على المدى البعيد من احتمالات الحروب. وعدم العودة لحدود الرابع من حزيران هو الذي سيلد حروباً ولو بعد حين ويبقي التوتر مشتعلاً ويقرب الإسرائيليين من حدود اوشفيتس وهذا ما يستوعبه معسكر السلام في إسرائيل الذي يتسع يوماً بعد يوم ببطء ولكن بثبات .

رأس العامود، العراق والهجوم الأميركي، إيران

قضية راس العامود عند جبل الزيتون أعادت القدس إلى الظهور من جديد في وسائل الإعلام وجعلتها نقطة الاحتكاك مرة أخرى فقد قامت مجموعة من العائلات اليهودية بالسكن في منازل اشتروها قانونياً في ضاحية راس العامود وكان يقف وراء هذه المبادرة المليونير اليهودي من فلوريدا " ارفيننع موسكوفيتش " الذي غضب منه نتنياهو جراء قيامه بدخول جبل الزيتون، أما معارضو نتنياهو فادعوا بأنه شريك موسكوفيتش في العملية مما زاد من غضب نتنياهو. وفي مجال آخر كان الاسرائيليون والفلسطينيون على حافة تفاقم الوضع بينهم فطلب مني رئيس الحكومة القيام بمشاورات من أجل تقديم صيغة للتصرف حيال الموضوع فشرح لي مستشار الحكومة القانوني الياكيم روبنشتاين الوضع القانوني على النحو التالي : " يجب أن تكون هناك ظروف متطرفة جداً كي يكون بالإمكان العمل وإخراج الأفراد من المنازل بالقوة " فشعرت بأن الأمر ليس مرتبطاً بالحالات وإنما بتقديرات الأجهزة الأمنية، لذلك توجهت الى قائد الشرطة الذي قال لي " اعتقد بأن الوضع غير قابل للانفجار ولا نملك معلومات استخبارية حول خطر يهدد حياة الناس جراء دخول المكان في راس العامود " اصدر رئيس الحكومة بياناً يعرب فيه عن معارضته لإنشاء حي يهودي في منطقة راس العامود في الوقت الراهن، هذا ولم يتأخر رد الرئيس كلينتون وبواسطة المقرب منه ستيف غروسمان من أعضاء المجموعة اليهودية في واشنطن " ايباك " قال كلينتون " أعلم بأن دائرة وحيز مناورتك السياسية ضيق فاقدر لك ما عبرت به إزاء قضية راس العامود ". وفي السادس عشر من أيلول دعا رئيس الحكومة إلى مناقشة قضية راس العامود بمشاركة وزير الأمن الداخلي أفيغدور كهلاني والمفتش العام للشرطة ومسؤول الشاباك والمستشار القانوني للحكومة وأنا

فاتفقنا على أن توجه الشرطة رسالة إلى الأشخاص المتورطين في القضية تعرب فيها عن معارضتها لدخول أشخاص إلى منازل أخرى في راس العامود. اعتقدت بأن أحد إنجازات الحكومة هو الحفاظ على وحدة القدس فقد بدأنا البناء في أبوغنيم وأغلقنا مكاتب المنظمة في المدينة وأنا أؤيد حق اليهود بالسكن في أي مكان من القدس ولكن ينبغي أن يتم ذلك وفق خطوات هادئة وليس بأعمال تظاهرية تلحق الضرر بالقدس أكثر مما يعود عليها من فائدة. ولم يرغب نتنياهو في إخلائهم بالقوة وأجرينا اتصالات مع جمعية (عطيرات كوهينم) أسفرت عن الاتفاق التالي (إخراج العائلات وعدم دخول غيرها ووقف أية إجراءات لبناء ضاحية جديدة حسب رغبة صاحب الأرض موسكوفيتش، يبقى داخل المبنى عشرة أشخاص فقط للحراسة والصيانة، علماً بأن هذا الاتفاق لا يمس بصلاحية الحكومة القانونية فهي المسؤولة عن تفعيلها وفق الاحتياجات الأمنية " وقد قام مولخو بإبلاغ هذا الأمر لأبي العلاء بغية تهدئة الشارع الفلسطيني أما نتنياهو فقد اتصل باولبرايت التي ردت بالقول : " أعلم كم أن هذا الأمر صعب بالنسبة لك وأقدره جداً ".

انتهت الأزمة لكن السكان اليهود في واقع الأمر دقوا وتداً أولياً في بناء ضاحية راس العامود فلم يعد جبل الزيتون منطقة عربية فقط، ومع أن عمل السكان اليهود أحرج الحكومة إلا أن هذا الأمر يضيف لنا خطوة أخرى هامة في معركتنا على مستقبل القدس، وبعد مضي عدة شهور طلب السفير الأميركي مقابلتي فلديه معلومات محرجة قال " علمنا بأن عائلة ابنة مدير عام ديوان رئيس الحكومة أودي اليتسور انتقلت للسكن في أحد المنازل براس العامود " واليتسور الذي كان نشيطاً لسنين طويلة في مجلس مستوطنات الضفة والقطاع ومن قادة المستوطنين هو صحفي موهوب تم تعيينه بعد مدة طويلة بمنصب مدير المكتب المهجور بعد مغادرة ديفيد اغمون، فقد اعتقد نتنياهو بأنه سيكون جسره إلى قلوب "جماعة جبهة أرض إسرائيل" ويساعده

في الحفاظ على الجناح اليميني للائتلاف، وكان جوابي للسفير الاميركي بأن لا علم لي بالأمر وبأن رئيس الحكومة ملتزم باتفاقه مع وزيرة الخارجية أولبرايت، وعندما سألت اليتسور عن الأمر قال "نعم صحيح لقد سكنت ابنتي هناك منذ مدة" ولحسن الحظ لم يعد السفير الأميركي لمفاتحتي بالموضوع وبعد مدة كشفت إحدى الصحف النقاب عن الموضوع غير أن الولايات المتحدة لم تثر أية ضجة إزاءه.

جاءت الأزمة بين الولايات المتحدة والعراق في كانون الثاني 1998 وأعلنت الولايات المتحدة بأنها على وشك القيام بهجوم على بغداد – في حين لم تكن إسرائيل في حالة استعداد، اجتمع في القدس طاقم أمني لتقييم الأوضاع بشكل عاجل وتلقى رئيس الحكومة نتنياهو مكالمة هاتفية من الرئيس كلينتون مما كوّن انطباعاً بقرب الهجوم الأميركي بأسرع مما توقعنا وساد إسرائيل خوف على غرار ما حدث في عام 1991 عندما قرر صدام حسين توجيه ضربات انتقامية لإسرائيل ورغبته الظهور كبطل في العالم العربي أو محاولة بلورة جبهة عربية محيطة به ومعادية للولايات المتحدة لكن الفارق الكبير يكمن هذه المرة بالمقارنة بحرب الخليج الثانية في قدرات صدام إذ كان عام 1991 يملك قدرات كبيرة لإطلاق صواريخ سكاد باتجاه إسرائيل بوساطة مضادات متحركة وموجهة منتشرة في منطقة غرب العراق. وكنت حينها أعمل مستشاراً إعلامياً لدى وزير الدفاع موشيه ارينز، يوم الجمعة الثامن عشر من كانون الثاني 1991 وعند الساعة الثانية قبل الفجر أفزعت صفارات الإنذار أجواء السبت الهادئ – أي أن صدام حسين نفذ تهديداته فأطلق الصواريخ باتجاه إسرائيل. عاش الإسرائيليون ستة أسابيع في ظل الرعب جراء سقوط تسعة وثلاثين صاروخاً لكن الأسوأ من هذا كله لم يقع – فالصواريخ التي أطلقها صدام حسين ذات رؤوس قتالية تقليدية . خرج السكان من ملاجئهم وأزاحوا الكمامات الواقية وأخرجوا الأولاد من مهودهم الواقية الخاصة

ومن أكياس النايلون وتنفسوا الصعداء بعمـــق، مضت سبع سنوات على تلك الأحداث وفي يومنا هذا فإن التقديرات الخاصة بالأوضاع المقدمة لرئيس الحكومة أفادت بأن صدام يملك قدرات محدودة جداً من الصواريخ التي يمكنه توجيهها لإسرائيل وأنـه يملك عدداً ضئيلاً جداً من المنصات والصواريخ لأن معظمها قد تحطم بواسطة مراقبي الأمم المتحدة وكانت التقديرات تقول أيضاً بأن صدام في حال اليأس قد يحاول قصف إســرائيل وتركـزت المخاوف على احتمالية اســتخدام الرئيـس العراقــي لــرؤوس كيماوية وربما بيولوجية أيضــاً، وجــاء فــي تقــارير ونتــائج الفحوص التي أجراها مراقبو الأمم المتحدة فــي العــراق فــي أعقاب حرب الخليج وجود إثباتات على أن صدام كـــان يمتلـك القدرة على إطلاق صواريخ ذات رؤوس كيماوية على إســرائيل – لكنه لم يستخدم هذه القدرات تحسباً منه لرد الفعل الإسرائيلي جراء تعرض مواطنيها لاعتداء غير تقليدي، ولكن السؤال الــذي كان يفرض نفسه علينا: هل يلجأ صدام في عام **1998** وكخطـوة يائسة إلى ضرب إسرائيل بشكل لم نواجه مثله فــي يــوم مــن الأيام؟ – هذا السؤال ظل يخيم فوق رؤوســـنا، وزيــر الدفــاع إسحاق مردخاي استخدم الهاتف الساخن السري في حديثه مــع وزير الدفاع الأميركي ويليام كوهين طالباً الحصول علــى مـدة زمنية ردعية كافية قبل البدء بالهجوم الأميركي – لكن الجــواب الذي تلقاه كان غامضاً وليس كافياً وكان من الواضح لنــا بــأن الهجوم الأميركي بات وشيكاً لكننا لم نتلق معلومات واضحة أكثر بما يسمح لنا بالاستعدادات المطلوبــة فكــان الاســتنتاج الــذي توصلت إليه إسرائيل هو وجوب التأهب استعداداً للهجوم الــذي قد يقع خلال أيام معدودة وكان مردخــاي قــد أوضــح لنظـيره الأميركي حاجة إسرائيل لمساعدات طارئة فورية خاصــة فــي مجال إعداد الجبهة الداخلية لمواجهــة أي اعتــداء أو هجــوم كيماوي أو بيولوجي، الأمريكيون لم يستجيبوا ولــم يســارعوا لإرسال بطاريات صواريخ باتريوت متطورة إلى إسرائيل وهــي

بحوزة قواتهم في أوروبا لكن رسالة شديدة اللهجة انطلقت من القدس إلى واشنطن أدت إلى الإسراع بالإرسالية وتملكنا شعور بأن الولايات المتحدة لا تنظر بجدية مناسبة لاحتياجات دولة إسرائيل مما دفع بنتنياهو للقاء السفير الأميركي في إسرائيل تيد ووكر لتوصيل رسالة إلى الرئيس كلينتون تقول " إذا هوجمنا سنرد والواقع الذي مررنا به في المرة السابقة حين هوجمنا ولم نرد لن يتكرر". فحاول السفير تهدئة رئيس الحكومة قائلاً : "تقديراتنا تقول بأن صدام يملك قدرة محدودة" فقال نتنياهو "إن هذا بالضبط ما يقلقني فالقدرة المحدودة لديه ربما تدفعه إلى رد متطرف" فأجاب السفير "إن التنسيق بيننا ضروري فستكون لنا قوات هناك"، وصلت رسالة نتنياهو إلى الإدارة الأميركية فقد تحدثت وزيرة الخارجية الأميركية أولبرايت مع رئيس الحكومة قائلة: "نحن ندعوكم إلى ضبط النفس وستتلقون توجيهات عسكرية مفصلة حال وقوع الهجوم، فلن يكون الهجوم بسيطاً بل هجوم كبير على قواعد الأسلحة الخاصة بالدمار الشامل داخل العراق " فأجاب نتنياهو بضرورة ردع صدام عن ضرب إسرائيل وتوجيه رسالة تقول بأن الرد الأميركي سيكون قاسياً مكرراً تأكيده "إذا هوجمنا سنرد، نحن لا نريد خلافات معكم ولكن ينبغي عليكم أن تدركوا مسبقاً بأن هذا ما سنفعله وردنا لن يكون آلياً ونحن نحتفظ بحقنا في الرد ومن الأفضل أن تأخذوا هذا في حساباتكم". في خضم هذا كله تذكرت الإحباط الكبير الذي أصاب وزير الدفاع موشيه ارنيز عام **1991** بسبب عدم تمكن إسرائيل من البرهنة على قدراتها الردعية لصدام حسين وعلى الرغم من التهديدات الإسرائيلية فقد أطلق صدام الصواريخ لكنه لم يستخدم الرؤوس الكيماوية لخشيته من الرد الإسرائيلي في مثل هذه الحالة. حاول ارنيز من جانبه دفع الأمور نحو عملية إسرائيلية ضد العراق لكن شامير تصدى لتلك المحاولة كما أن انتهاء الحرب بعد أربعة أيام من الهجوم البري الأمريكي حالت دون ذلك كله.

هذه المرة وفي عام 1998 أوضح نتنياهو للإدارة الأميركية بأن قواعد اللعبة مختلفة فقد كانت الحجة الأميركية عام 1991 بأن أية عملية إسرائيلية ضد العراق ستؤدي إلى تفكيك الائتلاف الذي تقوده في مواجهة صدام وهذه الحجة لم تعد قائمة في عام 1998. شكل نتنياهو طاقماً وزارياً مقلصاً استعداداً لأية مواجهات محتملة.

إبان حرب الخليج 1991 كنت شاباً في الواحدة والثلاثين من عمري ولم أكن متزوجاً وفي الوقت الذي كنت فيه أسير إلى مقر وزارة الدفاع في تل أبيب بعكس قوافل السيارات التي تغادر تل أبيب باتجاه مناطق أكثر أمنا أما الآن وفي أزمة 1998 فأنا أب لطفل وأشعر بالقلق والمسؤولية من هذه الناحية إضافة لمنصبي الرسمي وما يتطلبه من جهود، وأثناء المناقشات التي دارت في القدس حول استعداداتنا الداخلية أحسست بالخطر أكثر مما كان عليه الحال في الأزمة الأولى لوجود احتمالات طفيفة حول استخدام صدام للوسائل القليلة التي بقيت بحوزته لضرب اسرائيل عدا عن معرفتي بعض النواقص في التجهيزات الخاصة بالجبهة الداخلية، وبعد مضي سبع سنوات على "حرب النايلون" فإن ضرورة تزويد كل مواطن في إسرائيل بالكمامات الواقية والمعدات اللازمة لا يزال قائماً، أظهرت التقديرات نقصاً في المعدات الخاصة بالأولاد نتيجة للتقليصات التي تمت في ميزانية الجبهة الداخلية فلقد وفر المسؤولون الاقتصاديون بضعة شواقل على حساب توفير الحماية المناسبة للأبناء وهكذا انطلق مبعوثو الدولة يلفهم الذهول في مناطق مختلفة من العالم لسد هذا النقص بطريقة الاستيراد الطارئ لكن إرجاء الهجوم الأميركي حال دون قيام وضع محرج في مجال حماية الجبهة الداخلية. وآمل بأن نكون استفدنا من هذه المسألة وتعلمنا أنه من المحظور علينا تماماً أن تكون جبهتنا الداخلية دون الاستعدادات اللازمة لمواجهة أي طارئ وكان من شأن التأجيل الأميركي إتاحة الفرصة لإسرائيل كي تتدارك هذا النقص.

وفي كانون الثاني 1998 اندلعت الأزمة مجدداً بين أميركا والعراق وعاد رئيس الحكومة للتأكيد على حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها والوقوف إلى جانب أميركا وتأييدها تأييداً كاملاً في سياستها ضد العراق وأن مسألة تقليص الخطر على إسرائيل مرتبط بأميركا، في 17 كانون الثاني 1998 تلقى صدام ضربات أمريكية قاسية أشبعت غريزة الانتقام في البيت الأبيض لكنها لم تؤد إلى أي تحول استراتيجي في العراق، أما إسرائيل فقد خرجت دون أية أضرار غير أن خطر الاعتداء عليها بالأسلحة الكيماوية والبيولوجية لم ينتهي. يكفينا تذكر أن سوريا تمتلك مئات الصواريخ من نوع سكاد مع القدرة على إطلاق اسحله كيماوية إلى أية نقطة في إسرائيل، كما أنه في مكان بعيد عنا أيضا إيران المستمرة في جهودها لإنتاج صاروخ شهاب 3 وشهاب 4 – صواريخ أرض أرض بعيدة المدى قادرة على ضرب إسرائيل بل الوصول أيضا إلى قلب أوروبا، النشاط الإيراني المحموم والمدعوم من علماء وفنيين وشركات روسية حذرت منه إسرائيل منذ أمد طويل وكانت موسكو تصدر تصريحات النفي والوعود والتطمينات فقط حتى الإدارة الأميركية لم تكن راضية عن التحذيرات الإسرائيلية بهذا الصدد إلى درجة أن مسؤولين اتهموا الحكومة بالعمل من وراء ظهر الإدارة الأميركية والبيت الأبيض والعمل مع الكونغرس مباشرة والذي بادر إلى سن قانون ضد الروس وكان بمثابة شوكة في عين كلينتون وموظفيه، أما نائب الرئيس الأميركي آل غور فقد تولى مسؤولية إجراء حوار مع روسيا وإسرائيل في مواجهة التهديدات الإيرانية المتزايدة، وكما هو الحال مع صدام حسين فقد راودني شعور ثقيل من وقوع خطر إيراني كبير يفاجئ العالم ذات يوم حيث أن النظام الإسلامي في طهران يمكنه أن يشكل خطراً ليس على أمن إسرائيل ومواطنيها فقط وإنما على سكان فينيا وباريس وفيما بعد مع التطور يمكن أن تصل إلى سكان واشنطن ونيويورك. وحينها يصحو العالم ولكن متأخراً – كما أن

الخطر العراقي لم ينته بعد فمنذ انهيار نظام المراقبة التابع للأمم المتحدة - هناك خوف من تجديد النشاطات العسكرية العراقية إذ يبدو أن القنابل الأمريكية لم تؤثر في صدام حسين على ما يبدو وأنه إذا تمكن أيضاً من التزود بأسلحة نووية فهذا معناه تغيير واقع المنطقة بأسرها، وعدا عن هذا كله تكفي القدرات الكيماوية والبيولوجية والصاروخية التي لا تزال بحوزة صدام وتشكل تهديداً مستمراً لإسرائيل. أمام هذه التهديدات العراقية والإيرانية يلزمنا الكثير كتعميق القدرات الاستخبارية عبر الأبحاث والدراسات والأعداد لخيارات هجومية والاهتمام بالجبهة الداخلية إلى الدرجة القصوى وبذل كل الجهود لقطع طرق التزويد بالأسلحة النووية على العراق وإيران. وفي حال فشل العالم في هذه المهمة سيمتلك العراق وإيران هذا السلاح وهذا يلزم إسرائيل بدراسة ومراجعة سياسات الردع الاستراتيجية لديها وقد قال بيريس ذات مرة "أعطوني سلاماً أتنازل عن الذرة" وفي نظري هذا قول يغض النظر عن الأخطار الكبرى المحدقة بإسرائيل حتى من مسافات بعيدة.

ولو أنه تم تخفيف التهديد على إسرائيل من الدول المجاورة فإنه ينبغي عليها الاحتفاظ بقدراتها الاستراتيجية لردع أي هجوم أو حرب سريعة قد تقع حتى في ظل معاهدات السلام. بمعنى أو بآخر فإن القدرات الاستراتيجية هي التي تحمينا من مواجهة الأخطار القادمة من دول كالعراق وإيران في حال تزودها بالأسلحة النووية.

ومنذ قيام إسرائيل عام 1948 ومروراً بكل الحروب التي خاضتها كان بادياً ومعلوماً بأن الخطر يهددها ويمس بحقيقة وجودها وربما ساهمت اتفاقيات كامب ديفيد واوسلو ووادي عربة في أن يسود الشعور بكوننا دولة مثل سائر الدول لكن الخطر لم يتلاشى. بل أن سلاماً مع سوريا يكون مرهوناً بتنازلات إقليمية قاسية لن يزيل هذا الخطر ولذلك ينبغي على إسرائيل أن تكون في حالة استعداد دائم لردع أي إغراء من قبل

دولة أخرى أياً كانت للشروع في حرب ضدنا والاستعداد لحسم المعركة في حال انهيار اتفاقيات السلام وشن هجوم عسكري علينا فالتفوق الكمي للجيوش العربية هو أضعاف مضاعفة ومع مرور الزمن تقلصت الفجوة النوعية أيضاً بين الجيوش - إذا أضفنا إلى ذلك التهديدات غير التقليدية من بعيد، وفي تقديري أن اليوم الذي يمكننا فيه العيش بهدوء وسكينة دون هواجس وألم ودون أم ترسل ابنها إلى الجيش لا يزال بعيداً.

في ذروة الهجمات الأمريكية على بغداد توجهت إلى أريحا للاجتماع بصائب عريقات وحسن عصفور وبصحبتي تومار اوراني مستشار شارون، وقد طلبت من الفلسطينيين ضبط الشارع الفلسطيني من مظاهرات التأييد لصدام كما حدث في عام 1991، عندما كان الفلسطينيون يرقصون فوق أسطح المنازل وصواريخ صدام تسقط فوق تل أبيب وقد استمروا بعد توقيع اتفاق أوسلو في التصفيق والهتاف له في شوارع نابلس ورام الله - وهذا يمس بثقة الإسرائيليين إزاء مستقبل العلاقات مع الفلسطينيين، وبناء على ذلك قال لي عريقات بأن عرفات يتخذ الإجراءات لقمع المظاهرات فقلت له أن ذلك ليس كافياً إذ أن أصل المشكلة وجذورها تكمن في نظام التعليم فأنتم لا تزالون تربون أولادكم على كراهية إسرائيل وليس عجباً عند لحظات الاختيار كما هو الحال في المواجهة بين أميركا وصدام أن تظهر مشاعر الكراهية وتطفو على السطح. بعد ثلاث سنوات من جولاتي مع القيادة الفلسطينية أعتقد بأن المستقبل مرهون بالتعليم والتربية لدى الشباب لوقف التحريض ضد إسرائيل واليهود في وسائل الإعلام الفلسطينية وقناعتي بأن ذلك أجدى من أي اتفاق أو حوار بين الزعماء. والطريق لا يزال طويلاً أمام يوم يتضامن فيه أولاد نابلس وأريحا مع أولاد رامات غان وكريات شمونه وليس مع نظام صدام حسين وعندما تبدأ السلطة الفلسطينية في تعليم أبنائها ما يخص إسرائيل كصديقة وليس عدوة وأن اليهود والصهاينة بشر يمكنني القول بأننا

نتقدم نحو سلام حقيقي مع الفلسطينيين، هذا النوع من التعليـــم والتوجيه هو الكفيل بصياغة المستقبل بيننا وبين الفلســـطينيين بسلام.

التعليق

يتحدث داني نافيه في هذا الفصل حول أمور عديدة، في المقدمة منها طبيعة الحوارات الأمريكية الإسرائيلية وكيف تأخذ تل أبيب المواقف الأمريكية بكثير من المسؤولية والقبول. تحاول الشغب، والاعتراض في بعض الحالات، لكنها في نهاية المطاف تنصاع للحسابات الأمريكية التي تأخذ بعين الاعتبار المصالح الإسرائيلية ولكن من المنظور الأمريكي الذي قد لا يتطابق تماماً مع النظرة الإسرائيلية وخاصة في ظل حكم اليمين الصهيوني الذي يظهر تفاوتاً في تقييم الأمور مع الإدارة الأمريكية فقد رضخت تل أبيت عام 1991 للحسابات الأمريكية وامتنعت عن الرد على صواريخ سكاد العراقية التي انطلقت صوب المدن الإسرائيلية، رغم أنها تملك قوة هائلة للردع، وحدث ذلك في عهد أكثر الحكومات تطرفاً وهي حكومة إسحق شامير وذلك يعني، بوضوح كبير، أن الإدارة الأمريكية تستطيع ممارسة ضغط كاف على إسرائيل لتغيير المواقف والسياسات حين تقرر واشنطن أنّ مصالحها تتطلب ذلك. ولهذا فإن المنطق الذي تواجه به الإدارة الأمريكية الزعماء العرب والفلسطينيين بأنها لا تستطيع الضغط على إسرائيل في الحدود التي يتصورها العرب، هو منطق غير مقبول وتدحضه الأحداث والحقائق كما تجلت في حرب الخليج. هذه الحقيقة يجب أن تكون ماثلة في نظر القادة الفلسطينيين والعرب، وخاصة في هذه المرحلة التي تنفتح فيها مفاوضات المرحلة النهائية وتبدو فيها فجوات كبيرة بين مواقف الأطراف المختلفة، وتتذرع واشنطن أنها تريد للأطراف أن يشتبكا تفاوضياً To be engaged وأن يصلا لحلول من خلال المفاوضات المباشرة، دون تدخل من أحد.

وفي هذا الفصل يتحدث نافيه عن عدم وجود استعدادات كافية في إسرائيل لحماية الجبهة الداخلية لو قام الرئيس العراقي صدام حسين بإطلاق صواريخ على المدن الإسرائيلية عام

1998، وحين قامت القوات الأمريكية والبريطانية بتوجيه ضربة لبغداد، وهو أمر ملفت للنظر أمام أفكارنا المسبقة عن التفوق الإسرائيلي غير العادي إذ أن توفير وتحديث كمامات الوقاية من الغاز وإعادة تأهيل الملاجئ لا يتطلب إمكانات كبيرة ومع ذلك يقول نافيه صراحة أنه لم تكن هناك استعدادات كافية، وهكذا نكتشف في كل يوم وفي ثنايا كل مذكرات جديدة لشخصية إسرائيلية كانت من صانعي القرار، أن لديهم ثغرات كبيرة وللقوة ضعفها ونحن مطالبون بإعادة التوازن النفسي لجمهورنا العربي الذي أدهشته الانتصارات الإسرائيلية وتصور " الآخر" قوة محكمة لا يأتيها الباطل من أمام أو من خلف، ومطالبون بإعادة قراءة ونشر الكثير من هذه الأمور التي نلقي القبض عليها في مذكرات وكتابات القادة الإسرائيليين، ليس من أجل الاستخفاف كما كان عليه الوضع قبل حزيران 1967، ولكن من أجل منع الانهيار النفسي والجماعي وبقاء الحصانة قائمة في النفوس والثقة قوية في المستقبل.

يتحدث داني نافيه عن المخاوف المبالغ فيها إلى حد الخرافات، لاحتمالات نجاح إيران في تحقيق صناعة القنبلة النووية، ويرى أن ذلك سيكون خطراً على عواصم الغرب وقد يصل الخطر إلى مدن الولايات المتحدة الأمريكية. لا اعرف كيف يبيح مثقف مثل داني نافيه لنفسه أن ينحدر إلى هذه الدرجة من التصورات الخرافية التي لا تصمد أمام أي منطق علمي وأي تحليل موضوعي، ولا تصمد في الوقت نفسه أمام الحقائق. ما الذي سيدفع بإيران لإطلاق صواريخ نووية على أوروبا، وكيف يمكن أن يحصل ذلك ولأي مبرر، ألا تعرف القيادة الإيرانية أن أوروبا تستطيع أن ترد على القنبلة الواحدة بمئات القنابل. وعلى أية حال فإن صناعة هذه المخاوف الخرافية لم يعد لها مكان حتى في عالم الأساطير، إذ انتصر التيار الإصلاحي في الانتخابات الإيرانية وبدأت العلاقات الإيرانية الغربية تتحسن في كل يوم وبدأ القادة الأوروبيون، من سياسيين ورجال اقتصاد،

يتدفقون صوب العاصمة الإيرانية ويجرون المحادثات الناجحة في طهران.

في مرحلة سابقة أثارت إسرائيل مخاوف أسطورية من السلاح العراقي واحتمالات إطلاق صواريخ عراقية على نفس العواصم التي يتحدث عنها داني نافيه باعتبارها أهدافاً محتملة لصواريخ إيرانية نووية ذات يوم، وجاءت حرب الخليج وانحشرت القيادة العراقية في الزاوية بعد أن انهزمت بقسوة، ومع ذلك لم تضرب أية عاصمة أوروبية ولم تكن لديها، كما ثبت بعد ذلك، القدرة على ضرب في أي مكان، خارج إطار الدول الخليجية، ويرى نتنياهو، طبقاً لرؤية نافيه، أن الضعف العراقي له خطورته مثل القوة العراقية، وهذا الضعف قد يدفع بالرئيس العراقي في حالة يأس لإطلاق ما تبقى له من صواريخ على إسرائيل، والتجربة تؤكد عكس ذلك ، وأن القيادة العراقية في حالتي القوة والضعف، سواء بسواء، تنهش جيرانها الضعفاء الذين قد لا يملكون القدرة على الرد.

المنطق الذي يحرك اليمين الإسرائيلي طوال الوقت، هو منطق القدرة على صناعة المخاوف من الغد لشعبهم بحيث يدفعون به نحو التشدد، طالما أن لا خيارات أخرى أمامه، ويخيفونه من المستقبل ومن الجيران، الأقارب والأباعد، وإذا بدت الأمور غير ذلك على المدى القريب فإنهم يخيفونه من المدى المتوسط والبعيد، وجاء زمن كان التيار السياسي الذي ينجح في تخويف الإسرائيليين من الغد أكثر من غيره، هو التيار الذي يصعد في الانتخابات البرلمانية للكنيست - ولكن الصورة تغيرت بعض الشيء، وإن بصورة محدودة وخجولة ومتعثرة، حين نجح رابين - بيرس في انتخابات 1992، ونجح الوسط واليسار في انتخابات 1999، للإسرائيليين خيار يجب أن لا يضيعوه وهو الوصول لسلام مع العرب تختفي فيه المخاوف: مخاوف كل طرف من الآخر وتسقط معه مرة واحدة وإلى الأبد: بضاعة داني نافيه واليمين الإسرائيلي الذي يريد للإسرائيليين

أن يبقوا مسلحين يخوضون حروباً أبدية دون انقطاع : جيلاً بعد جيل من أجل تسويق بضاعة للحرب المتواصلة عنوانها: الانسحاب من نابلس اليوم هو مقدمة للانسحاب من تل أبيب غداً وهي بضاعة بائسة يريد أصحابها أن يحتفظوا بكل الأرض وأن يرفضوا أية مصالحة تاريخية.

والسيد داني نافيه – في إطار مواقفه المعروفة، يريد أن تبقى إسرائيل دولة نووية من جانب واحد في الشرق الأوسط حتى بعد تحقيق السلام مع العرب جميعاً من المحيط للخليج وهو أمر في غاية الغرابة ويدل أن قوى اليمين في إسرائيل لا تريد في واقع الأمر أي سلام، إذ كيف يمكن للمواطن العربي أن يطمئن لهذا السلام طالما أن الطرف الآخر من المعادلة يصر على تفوق في السلاحين : التقليدي والنووي.

أسئلة نطرحها أمام سكرتير عام الحكومة الإسرائيلية السابقة وعضو الكنيست الحالي الذي مازال أمامه مستقبل واسع في الحياة السياسية الإسرائيلية، لكنه ينحر هذا المستقبل من الوريد للوريد إذا بقي أسير هذه المخاوف والأساطير السياسية وإذا بقي مشدوداً للماضي دون أن يرى آفاق المستقبل الرحب لابنه وأبناء شعبه.

مهمات سرية، ظواهر اللاسامية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية

في الفترة التي عملت فيها سكرتيراً للحكومة طلبوا مني إجراء الفحص أمام جهاز الكشف عن الحقيقة مرتين، الأولى كانت في تقديري مشروعة وصحيحة إذ كان يتوجب علي عند تسلمي للوظيفة أن أقوم بالفحص كجزء من إجراءات الرقابة الأمنية والتي يمر بها الموظفون الكبار في الدولة بحكم أن أعمالهم تتيح الاطلاع على معلومات أمنية، ولقد مررت خلال عملي بمعلومات أمنية حساسة جداً أما المرة الثانية فلقد نفذت عملية الفحص باستياء شديد، كنا في نهاية شباط عام 1998 وقد حدثت سلسلة من التسريبات من مكتب رئيس الحكومة بما في ذلك سفري مع عوزي أراد ضمن بعثة سرية إلى أوروبا والكشف عن القبض على عميل للموساد في سويسرا، رئيس الحكومة الذي كان محبطاً وغاضباً من هذه التسريبات أصدر تعليماته بإجراء الفحص لجميع أفراد طاقم مكتبه وكذلك كبار مستخدمي وزارة الخارجية وقام بالتنفيذ مسؤول قسم التحقيقات في الشاباك وهكذا تم فحصُ كل من آراد وشبيرا ودافيد بلرايلان وشاي بازاك، أنا لم أكن في خشية من أمر الفحص نفسه والذي تخطيته بنجاح لكنني كنت مستاء في الحقيقة من جلوس مسؤول كبير في مكتب رئيس الحكومة أمام هذا الجهاز فالأمر ينطوي على نوع من الإهانة والتحقير، ولقد تحدثت مع رئيس الحكومة في الأمر بقسوة حيث قلقت له: " هذه هي المرة الأولى التي أوافق فيها على إجراء الاختبار – فإذا كنت لا تثق بإنسان يعمل معك وتشتبه في تسريبه للمعومات فأبعده عن عمله فوراً كما أن معالجتك لحالة فقدان الثقة بينك وبين شخص من رجالك لا تأتي من خلال إرساله للمثول أمام جهاز الفحص " وحتى اليوم لا أزال مقتنعاً بما قلت فالواجب أن تكون العلاقة بين رئيس الحكومة وطاقم العمل الذي معه قائمة على أساس الثقة المتبادلة

والعلاقات الإنسانية الواضحة " وكثيراً ما حدثت تسـريبات مـن مكتب رئيس الحكومة وكانت توصيتي له أن يتخـذ الإجـراءات المناسبة والشديدة حيال ذلك لكنه كان يفضل التسامح فـي كـل مرة ومع أن عدد الأشخاص الذين أعتمد رئيس الحكومة علـى مصداقيتهم وسريتهم كان ضئيلاً جداً إلا أن التسـريبات شـكلت ظاهرة في وسائل الإعلام فقط، وأعتقد أن نتنياهو لم يختلف عن شامير ورابين وبيريس في الحرص على دائرة سرية مغلقة فـي الإجراءات السياسية الحساسة وصحيح أنـه كلمـا قـل عـدد الأشخاص في هذه الدائرة كلما قل خطر التسريب الـذي يفسـد العمل وقد نجح نتنياهو في المحافظة على سرية اتصالاته مـع الرئيس الأسد بواسطة رون لاودير صيف عام 98 وزيارة روس السرية عام 1997 ومسائل أخرى، وفي المقابل فـإن المسـائل والقضايا التي اضطلع عليها أشـخاص كثـيرون لاسـيما فـي الأوساط الموجودة خارج مكتب رئيس الحكومة تسربت سـريعاً جداً لإحدى وسائل الإعلام.

وأعود إلى الفحص الأخير الذي أمر به نتنياهو وقد أثـار الشبهات حول مستشار رئيس الحكومة الإعلامي شاي بازاك فلم تكن المعطيات واضحة أثناء الفحص مما اضطـره إلـى تكـرار الفحص كما أنه لم يكن حازماً بشأن براءته بعد أعوام من العمل المتفاني فلم يصارع بازاك من أجل كرامته وحياته العملية، ولقد اعتبرت نفسي مسؤولاً عنه إلى حد ما للعلاقة التي كانت تربطني به فهو بمثابة الأخ الأصغر لي ، إنه يصغرني بعشـر سـنوات وكان لقائي الأول به في كنيس بيت الطالب بـالقرب مـن مقـر رئيس الدولة في القدس ثم إنني سكنت الشقة العائدة لأهله فـي حي القطامون القديم بالقدس وكنت قد أوصيت نتنياهو بتعيينـه متحدثاً باسمه عندما كان على مقعد المعارضة وأبدى بازاك فـي عمله حرصاً وولاء لا حد له وربما كان هذا هو السـبب الـذي أربكه أمام جهاز الفحص. على كل حال فقد تـرك العمـل فـي مكتب نتنياهو وعمل قنصلاً لإسرائيل في ميامي وقناعتي لازالـت

حتى إليوم تقول أنه لم يتم معرفة المسؤول الحقيقي عن التسريب حتى اليوم . والشخص الذي حل محل شاي هو افيف بوشينسكي وساعده اوفير أكونيس. لم اكن موافقاً لنتنياهو على استخدام جهاز كشف الحقيقة لكنني تفهمت غضبه وحساسيّة الموقف إزاء تسريب المعلومات بشكل خاص بعدما حدثت تسريبات تم فيها إلقاء المسؤولية علي بشكل شخصي. كما جرى بشكل مدهش ومفاجئ كشف الصحافة للقاءات سرية. هناك ثلاث مهمات قمت بها باسم رئيس الحكومة ولم يتم الإعلان عنها: واحدة لم يجر أي حديث عنها إطلاقاً والثانية تم فيها معرفة سفري دون الكشف عن التفاصيل والجهة التي التقيت بها، وجاء تسريب خبر السفر عن طريق إحدى المضيفات التي نقلت الخبر لأحد الصحفيين، وكانت المهمة في باريس بمشاركة عوزي أراد تقتضي ترتيب لقاء بأحد المسؤولين العرب لإنشاء أول اتصال رسمي مع زعيم دولة عربية ونتنياهو لكي تشارك دولته بالعملية السياسية، جرى اللقاء في ظل شكوك وعدم ثقة وتأكيدات من الجانب العربي ببقاء هذا اللقاء سرياً وإلا لن يكون هناك أمل في استئناف الحوار" وبالفعل التزمنا لكن الحوار لم يستأنف بعد ذلك. ولقد حرصت طوال فترة عملي على السرية لكن حدث مراراً أن كان التسريب من الجانب الآخر - إذ يوجد لديهم أيضاً جهات من مصلحتها تسريب معلومات عن هذه اللقاءات. تركز اللقاء في باريس على طلب الطرف العربي من إسرائيل تقديم تنازلات إسرائيلية من جانب واحد خلال المفاوضات مع الفلسطينيين لكي يكون رئيس دولتهم قادراً على تبرير مشاركته في العملية كما فسروا لنا ذلك بالحاجة إلى بناء الثقة بين إسرائيل وبينهم فأجبت بأننا نكون مسرورين وسعداء حقاً لمشاركة دولتهم وعرضت صورة الوضع في المفاوضات مع الفلسطينيين بل اقترحت نقاطاً بوسع الزعيم العربي دفعها قدماً - ولكن يبدو بأن هذا لم يكن كافياً، وخلال اتصالاتي كلها مع زعماء عرب تبين لي المرة تلو الأخرى بأن خلف (مشكلة الثقة)

التي عرضوها ازاء رئيس الحكومة تختفي حقيقة الخلافات حيال مفاهيمنا السياسية، وبدلاً من القول " نحن مختلفون ولا نتفق معكم " فضلوا الادعاء " بعدم الثقة " وكان شعوري بأنه في اللحظة التي يقول فيها نتنياهو " نعم " لتنازلات كبيرة فإن مشكلة الثقة ستزول وكأنها لم تكن، خبر زيارتي السرية إلى الأردن في أعقاب محاولة اغتيال خالد مشعل تسرب لوسائل الإعلام فكان الغضب الأردني كبيراً ومحرجاً لنا ودارت الشبهات حول أحد رجال الأعمال الإسرائيليين العاملين في عمان.

وبتاريخ 98/9/8 توجهت إلى القاهرة للقاء الرئيس مبارك وبإيعاز من نتنياهو وكان مبارك في ذلك اللقاء على درجة عالية من التشكيك والسخرية واللامبالاة متهماً الإسرائيليين بعدم الجدية في الوصول إلى اتفاقات فاستعرضت أمامه جميع الالتزامات التي نفذتها إسرائيل وبرهنت له على أن الجانب الفلسطيني هو الذي لم ينفذ لكنه رفض الاقتناع وطلبت منه أن يكون إيجابياً في أمر تنفيذ الاتفاقية بشأن الانسحاب الثاني لدى إبداء الرأي للفلسطينيين وأضفت قائلاً " نتنياهو يقدر زعامتك وقدرتك على التأثير " مؤكداً له على أننا نعلم بأن عرفات يتشاور معه باستمرار فكان جوابه " لن نقول للفلسطينيين ما ينبغي عمله وما لا ينبغي " لكن معارضة مبارك إزاء الإجراءات لانت قبل اتفاقية واي مما يعني بأن زيارتي تكون قد أسهمت بشيء ما لإحداث انطلاقة أدت إلى اتفاقية واي . وقلت للسفير المصري في إسرائيل محمد بسيوني بعد التوقيع على اتفاقية واي " كل ما قلتموه عن حكومتنا حتى الآن كان خاطئاً بكل بساطة فنحن نسعى للسلام وإنجاز الاتفاقيات ولكننا نفعل ذلك بطريقة أخرى. هكذا وقعنا اتفاق الخليل واتفاقية واي ولكن ينبغي عليكم أن تتذكروا شيئاً واحداً هو أنه طالما كانت حكومتنا تقود دولة إسرائيل فإننا نصر على وفاء الفلسطينيين بالتزاماتهم وإذا حصل ذلك فسيستمر التقدم"، ولم أكن على علم بأن أيام حكومتنا باتت معدودة وحملة الانتخابات تقف على الأبواب.

عدا عن هذه المهمات والبعثات السياسية السرية فقد عملت في قضايا حساسة أخرى كان منها تشكيل الطاقم الخاص بمعالجة موضوع المسجد الأقصى وبهدوء وبدون أي إعلان كان يجتمع في مكتبي يومياً مندوبون عن الشاباك ورجال الشرطة والنيابة العامة للدولة وسلطة الآثار لمناقشة الموضوع وكنت أطلع رئيس الحكومة منفرداً على النتائج، فموضوع المسجد الأقصى يشهد معركة يومية بينما المفاوضات السياسية تجري بين مد وجزر ففي تشرين أول عام 1996 ظهرت مشكلة الدور الخاص للأردن في إدارة الأماكن المقدسة في القدس وهو الالتزام الذي أعطاه رابين ضمن اتفاقية السلام مع الأردن حيث جاء بالنص " تحترم إسرائيل الدور الخاص الذي يقوم به الأردن بشأن الأماكن المقدسة في القدس وفي حال إجراء مفاوضات حول التسوية الدائمة تولي إسرائيل أولوية عليا للدور الأردني التاريخي في هذه الأماكن" وقد حاول الفلسطينيون منذ اتفاق اوسلو تغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى وأبعاد الأردن عن الإشراف على الأماكن المقدسة وكانوا بذلك يناقضون الاتفاقية المرحلية التي تحظر على السلطة الفلسطينية ممارسة أي نشاط في القدس. أنا شخصياً لم أزر المسجد الأقصى حتى اليوم امتثالاً لقول أبي المستمد من الشريعة التي تحظر علينا زيارة المكان. لكن التوجه الخطير في موضوع المسجد الأقصى هو تدخل الحركة الإسلامية في إسرائيل ففي عام 1995 حصل الفلسطينيون على موافقة إسرائيلية لفتح موقع " اسطبلات سليمان " لأداء الصلاة في شهر رمضان ومنذ ذلك الحين والحركة الإسلامية تدفع باتجاه تغيير التوازن الحساس القائم في المسجد الأقصى، وتفاقمت المشكلة بالطبع في أعقاب عملية فتح النفق في أيلول 1996 ولقد استخدم رجال الوقف الإسلامي هذا الأمر ذريعة لقطع الاتصال الدائم مع سلطة الآثار وقصره على ضباط الشرطة متجاهلين قوانين التخطيط والبناء أيضا كما أنهم يقومون باستمرار على إبعاد أعضاء سلطة الآثار عن المكان

مما يشكل صعوبات في مجال الإشراف والحيلولة دون القيام بأعمال غير قانونية في المسجد الأقصى - تلقى الطاقم الذي شكلته معلومات استخبارية إزاء نوايا الحركة الإسلامية فرض الأمر الواقع من خلال تنفيذ أعمال جديدة في المكان ولقد بذلنا جهوداً حثيثة لوقف هذا الأمر فقمنا بإغلاق فتحة كانوا قد فتحوها. بمعنى آخر فإن المسجد الأقصى يحتوي على جميع عناصر الكارثة المحتملة فهو المكان المقدس لليهود والمسلمين أيضاً كما أنه يمثل حلبة صراع بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية والأردن والحركة الإسلامية في إسرائيل واليهود الذين يطمحون إلى الصلاة هناك بل يتطلعون أيضاً إلى إعادة بناء الهيكل من جديد وأشياء أخرى. وقد قام مرة أحد المعتوهين الأستراليين بإضرام النار في المسجد إضافة إلى محاولة يهودا عتسيون ورفاقه نسف المسجد والتي تم الكشف عنها خلال المحاكمة عام 1974 وكنت حينها متدرباً في المحاماة لدى المحامي شلومو توسيا كوهين وصدمت من مدى اقتراب نجاح مؤامرة عتسيون والتي كان من شأنها إضرام النار في الشرق الأوسط كله وليس في المسجد وحده، ولطالما تلقت الأجهزة الأمنية معلومات عن محاولات خطيرة من هذا النوع ونتيجة لهذا كله فإن عيون المسؤولين الأمنيين في إسرائيل لا يغمض لها جفن إزاء هذه السيناريوهات المتطرفة والمرعبة وحتى ونحن على أعتاب عام 2000 كان الخوف يسيطر علينا من إمكانية استغلال أي معتوه لفرصة يلفت فيها أنظار العالم إليه . إن الوضع القائم الذي تحدد عقب حرب حزيران 1967 من قبل موشي دايان حيث حصلت الأوقاف الإسلامية على حكم ذاتي في المسجد الأقصى يعتبر في نظري خطأ تاريخياً -- غير أنه لا يمكن إعادة الماضي وتغيير ما جرى وأن ما ينبغي علينا القيام به هو منع أي قضم أو تراجع آخر في هذا المكان والمحافظة على التوازن الحساس القائم هناك. ومع المفاوضات المتعلقة بالتسوية الدائمة سيتم تصعيد الموضوع بل سيكون حجر عثرة كبيراً تعترض طريق التسوية،

وكلي أمل في أن تستمر حكومة إسرائيل خلال الأعوام القادمة بالمحافظة على التوازن الحساس كما ذكرت وتمنع أي محاولات لفرض واقع من جانب واحد هناك. وإضافة إلى جدول أعمالي المكثف كسكرتير للحكومة ومشرف على المفاوضات السياسية ومهتم بقضية بولارد والأقصى أضيفت لي مهمة أخرى ورثتها عمن سبقني في العمل وهي المسؤولية عن هيئة متابعة الظواهر اللاسامية في جميع أنحاء العالم والتي شكلها الياكيم (روبن شتاين) عندما كان سكرتيراً للحكومة . اللاسامية ما زالت موجودة ولقد حظرت مراراً من تصاعد اللاسامية الممثلة باليمين المتطرف في أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية وتلك التي يمثلها الإسلام الأصولي . وباعتباري من الجيل الثاني للكارثة فإن الشعور يغمرني بأنني أحمل رسالة الكفاح والمقاومة للعنصرية اللاسامية ومحاولة إنكار الكارثة (المحرقة) ولقد مررت بلحظة مؤثرة جداً في حياتي حين زرت المقبرة اليهودية في براتسلافا عاصمة سلوفاكيا مسقط رأس أبي ووجدت قبوراً لأفراد من عائلتي، وكنت حينها أشارك في رفع الستار عن النصب التذكاري الذي يخلد الكارثة – وألمانيا هي الدولة الوحيدة التي لم تطأها قدماي قط ولم انضم إلى أي وفد حكومي زارها.

وشبكة الإنترنت شكلت ظاهرة حديثة تتعلق بنشر اللاسامية ففيها مئات المواقع العنصرية واللاسامية التي تصل إلى ملايين البيوت في جميع أنحاء العالم من خلال استغلال حرية الرأي، وهكذا تحولت الولايات المتحدة أكبر دولة ديموقراطية إلى أكبر مصدرة للمواد العنصرية عبر الإنترنت ولهذا ظهرت حوادث عنف ضد اليهود مثلما حصل في الثاني من حزيران **1999** في شيكاغو وفي آب من العام نفسه في لوس أنجلوس حيث تم إطلاق النار على الأولاد في المركز اليهودي. ولا يمكن إيقاف هذا النوع من الحوادث بواسطة الشركة بل من خلال القانون الأساسي المتعلق بحرية الرأي الذي يكفل وقف هذه الدعاية

والتحريض اللاسامي. ولقد وجدت نفسي ذات مرة وأنا سكرتير للحكومة أوجه النقد لها في أعقاب قرار السماح للعنصري الافروامريكي لويس فرحان بزيارة إسرائيل في الخامس عشر من تموز 1997 وكذلك لم أتردد في شن هجوم حاد على المنشورات اللاسامية في الإعلام الفلسطيني والدول العربية. لكن المشروع الذي اعتز به أكثر من أي شيء آخر هو مبادرتي لإجراء مسابقة لطلاب المدارس الثانوية حول كتابة مقالة عن موضوع اللاسامية والتنكر للكارثة فقد اعتبرتها مهمة هامة للجيل الثالث الذي ترعرع في البلاد أو قدم إليها حديثاً كي يتعرف على الكارثة وموضوع اللاسامية.

تعليق

يتضح من هذا الفصل أن بنيامين نتنياهو كثير الشكوك في مستشاريه ومساعديه ويتميز بالتعالي عليهم والاستخفاف بهم، وإلا كيف يخضعهم لجهاز فحص الكذب، والأهم من ذلك هو كيف يقبلون ذلك من الأساس، وكيف يمكن لمسؤول على مستوى رفيع أن يمثل أمام الجهاز صاغرا ويقبل ضمنا الاتهام بأنه لا يؤدي واجبه وأنه يسرب معلومات سرية وهامة من مكتب رئيس الوزراء. حول نتنياهو مجموعة صغيرة من المقربين إليه، أما باقي مساعديه ومستشاريه فقد دفع بأغلبيتهم للاستقالة أو قام هو بإقالتهم، وانطبق الأمر على وزراء وقادة رئيسيين في الليكود ممن ضاقوا ذرعا بهذا القادم الجديد من الصفوف الخلفية رئيسا لهم ويتجاوز كل أمراء "الليكود" كما يسمونهم ويمارس معهم التعالي والاحتقار. يقول نافيه إنه غضب من المثول أمام الآلة، لكنه في النهاية وافق على ذلك صاغرا واستمر في عمله في خدمة رئيس الحكومة الإسرائيلية حتى النهاية.

يتحدث نافيه في هذا الفصل عن موقفه البغيض من المسجد الأقصى الذي رفض الاقتراب منه طوال حياته، لأن الشريعة تحظر ذلك إلى أن تتم عملية إعادة بناء الهيكل المزعوم، الذي تثبت الدراسات الإسرائيلية ذاتها كما تم نشرها مؤخرا، بأن لا وجود لمثل هذا الهيكل في الحفريات التي أجراها العديد من المختصين في إسرائيل في هذا الموضوع. يتم التعتيم على مثل تلك الدراسات ولكنها لقيت في نهاية المطاف طريقها للنشر العلني واطلعنا جميعا على ذلك.

ويرى المؤلف أن إعطاء ما يشبه الحكم الذاتي للأماكن المقدسة في القدس، كان الخطأ الرئيسي لموشي دايان بعد احتلال حزيران 1967 وهذا يؤكد ما كان يرمي له الليكود من نزع الصفة المميزة في الإشراف على الأماكن المقدسة من الهيئات الإسلامية في القدس والأراضي الفلسطينية، وعلى أية

حال فإن التدخلات الحكومية الإسرائيلية في عهدي العمل والليكود في عمل الهيئات الإسلامية واسع جدا وقد جرى توثيقه من قبل لجان القدس: اللجنة الملكية لشؤون القدس في الأردن، والعديد من المؤسسات المقدسية وفي المقدمة منها بيت الشرق وجمعية الدراسات العربية، وفي خلال عقود الاحتلال فقد جرى إبعاد الشيخ عبد الحميد السائح الذي كان رئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس، وما زالوا يرفضون عودته لمنزله حتى يومنا هذا رغم أنه جاوز التسعين من عمره، كما أبعدوا روحي الخطيب أمين القدس وغيره من الشخصيات المقدسية التي أصرت على استقلال عمل الهيئات المشرفة على الأماكن المقدسة، ولكن التدخلات الإسرائيلية كانت واسعة وأدت لإعتقالات وإبعادات على امتداد العقود الماضية.

الموضوع الرئيسي الآخر الذي يتحدث عنه نافيه في هذا الفصل، هو المخاوف المبالغ فيها من انتشار اللاسامية ومما يجري على الإنترنت من عداء لاسامي كما أنه يتحدث عن حوادث العنف التي وقعت ضد اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية وفي مناطق أخرى من العالم، ويزعم أن هناك انتشارا جديدا لدراسات ومقالات تنكر حدوث "الكارثة" ضد اليهود ويرى أن أهم إنجازاته في عهد الحكومة السابقة، هو المسابقة التي أعدها لطلاب المدارس حول مزاعم "إنكار المحرقة" فهؤلاء هم الجيل الثالث الذي ولد بعد الحرب العالمية الثانية بكثير وليس مرتبطا بما جرى لليهود في تلك الأثناء.

لا بد من التعليق على هذا الموضوع الذي يتكرر بصورة واسعة في الكتابات الصهيونية وخاصة في الفترة الأخيرة، وهو المبالغة الواسعة في ظواهر لاسامية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. لا بد من القول بداية أن الحركة الصهيونية استثمرت العداء اللاسامي من أجل دفع اليهود للهجرة صوب اتجاه واحد هو فلسطين، ولا بد من التأكيد أن الصهيونية تعادي بشكل واسع اندماج اليهود في مجتمعاتهم وكان ديفيد بن

غوريون يرى أن يهودية اليهودي لا تكتمل إلا بالهجرة إلى فلسطين. ذلك لا يعني للحظة واحدة أن الحركة الصهيونية متحالفة مع النازيين كما يقول أنصار "نظرية المؤامرة" في الساحة العربية، ولكنه يعني الاستثمار الصهيوني للواقع الذي كان قد نشأ في أوروبا.

تحضرني بهذه المناسبة ما جاء في كتاب: "اسحق شامير الأخير: أحاديث مع شامير وما صرح به في مقابلاته الأخيرة وهو أنه من الضروري عمل كل ما يجب عمله لإحضار يهود الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل وذلك يجب أن يكون، في رأيه، الهدف الرئيسي في هذا العقد الجديد. كيف يمكن فعل ذلك في أوساط ملايين اليهود الأمريكيين الذين كان يسميهم بن غوريون باستخفاف: "صهيونيو البر والإحسان"، والمندمجين في المجتمع الأمريكي بشكل كامل، ولا يفكرون بالهجرة على الإطلاق، لا صوب إسرائيل، ولا صوب أي مكان آخر. ذلك يتطلب إزعاجهم ومضايقتهم حتى يبدأوا التفكير بالهجرة، ولهذا فإن المبالغة في ظواهر الاعتداء على اليهود، كما حدث في شيكاغو، يستهدف دفع ما يمكن دفعه منهم للتفكير في الهجرة ومغادرة الوطن الذي عاشوا فيه وعاش فيه آباؤهم وأجدادهم. لا يوجد طريقة أخرى لحثهم على الهجرة، فالإقناع الأيديولوجي لم يعد ممكنا، والأيديولوجية الصهيونية نفسها تعاني من كساد وانحسار، كما يقول رجالات الوكالة اليهودية أنفسهم. لعلنا نتذكر جميعا الفترة التي تلت انهيار الاتحاد السوفييتي، وكيف جرت حملة واسعة معادية لليهود تبين أن جزءا منها يعود لتحريك صهيوني من أجل حثهم للهجرة صوب إسرائيل، وذلك ما تحقق في نهاية المطاف حيث وصل أكثر من سبعمائة ألف يهودي من الإمبراطورية السوفييتية السابقة إلى إسرائيل في أقل من عقد من الزمن. وفي الخمسينات جرى الكشف عن أحداث تعرض لها اليهود في العراق واليمن وتبين أنها تحريك صهيوني من أجل دفعهم للهجرة نحو فلسطين. المعادلة واضحة

وليس فيها رائحة من فكر تآمري. إسرائيل تريد هجرة اليهود من البلدان التي يعيشون فيها وذلك يحتاج لأن يقبلوا ذلك وهم لا يقبلون على الهجرة ما داموا يعيشون مرتاحين كاملي الحقوق والواجبات في أوطانهم، والحل الوحيد هو مضايقتهم وتوسيع دائرة المبالغة في ظواهر اللاسامية حيثما يوجد يهود في هذا العالم.

أما موضوع إنكار ما يعرف "بالهولوكست" وهو مذبحة اليهود على أيدي النازيين، فمن الضروري التأكيد أن ما تعرض له اليهود على يد هتلر هو جريمة كبيرة بكل المقاييس وقد دفعنا نحن الفلسطينيين والعرب ثمن تلك الجريمة الهائلة التي لا علاقة لنا بها ولم نساهم فيها من قريب أو بعيد وبأية صورة من الصور، وكثيرا ما كتبت في دراساتي أن إقامة دولة لليهود في فلسطين كان أمرا مشكوكا فيه لو لم تحدث مذابح النازيين ضد اليهود في أوروبا بحيث تعاطف معهم العالم بعد ذلك وساند حركتهم الصهيونية واتجه اليهود أنفسهم لهذه "الصهيونية" بحثا عن ملاذ، وقد كانت قبل الحرب العالمية الثانية، حركة معزولة في أوساط أغلب يهود العالم وقال عنها رجالاتها أنفسهم إنها كانت "جيشا من الشحاذين والحمقى"، وكان اتجاه الانصهار في أوساط يهود العالم وخاصة أوروبا هو الاتجاه الأقوى وجاءت المذابح الهائلة التي تعرضوا لها آنذاك لتقلب الاتجاه العام رأسا على عقب: اتجاه شعوب أوروبا واتجاه يهود العالم، وانتصرت الصهيونية لأسباب عديدة في مقدمتها مآسي الحرب العالمية الثانية.

لا مجال لإنكار حدوث المذابح ضد اليهود، وإذا كانت هنالك أصوات قليلة تتحدث بذلك فهي أصوات محدودة، ولكن ما يجري في الأوساط السياسية والأكاديمية هو إعادة دراسة تلك المرحلة، على ضوء حقائق الحاضر وبأفق نقدي. في أوروبا قانون اسمه "منع المراجعة" أي منع مراجعة ما حدث في الحرب العالمية الثانية ومنع فتح ملف "محاكمات نورمبرغ"، وقد استهدف

الأوروبيون من ذلك إعطاء مجال جديد لحياة جديدة للأجيال الجديدة دون أن تطاردها أشباح الماضي واستهدف الأوروبيون تجاوز الماضي بكل آلامه بحثا عن آفاق رحبة لعيش مشترك بين الشعوب الأوروبية.

لكن أوروبا التي تؤمن بحق الباحث في إعادة النظر بكل المسلمات لا تستطيع أن تمنع الباحثين من إعادة قراءة تاريخ الحرب العالمية الثانية وإذا كانت الصهيونية واثقة من روايتها بمقتل ستة ملايين يهودي فلماذا تقف ضد المراجعة ما دامت ستؤدي لإبراز الحقائق من جديد. سيكون هناك باحثون معادون للسامية يحاولون أن يقلبوا الحقائق لكنهم لن يستطيعوا ذلك إذا تم فتح الملف، ومعالجة الأمور بروح علمية اعتمادا على الوثائق والحقائق.

والسيد داني نافيه يريد للأجيال الجديدة في إسرائيل أن تتشبع بروح "الكارثة" وأن تبقى أسيرة الماضي وأسيرة المخاوف من الغد، وهي بضاعة الليكود واليمين في إسرائيل، الذي لا يريد للإسرائيليين أن يتحرروا من الخوف وأن يتحرروا من كوابيس الماضي البعيد، ولا يريد لهم أن يعيشوا مع جيرانهم بسلام. من يطرح شعار أن "الانسحاب من نابلس اليوم، يعني الانسحاب من تل أبيب غدا، يبشر شعبه بحرب أبدية.